المقدمة

الحمد لله رب المشارق والمغارب ، خلق الإنسان من طين لازب ،ثم جعل نطفة بين الصلب والترائب ، وخلق منه زوجه وجعل منه الأبناء والأقارب ،فتلطف به ..فنوع له المطاعم والمشارب وحمله في البر على الدواب وفي البحر على القوارب ، نحمده تبارك وتعالى حمد الطامع في المزيد والطالب ونعوذ بنور وجهه الكريم من شر العواقب ، وندعوه دعاء المستغفر الوجل التائب أن يحفظنا من كل شر حاضر وغائب.

قال الله سبحانه تعالى :ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.[1]

وقال أيضا :ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا.[2]

وقال أيضا:ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفرلكم ذنوبكم ومن يطع الله

- ورسوله فقد فاز فوزا عظيما[3]. أما بعد،

فيعرف الداني والقاصي أن السنة النبوية من أهم مصادر الشريعة الإسلامية التي لم تزل فى عناية كبيرة عند علماء المسلمين .ومن المعروف أن دين الإسلام واجه عدة مشاكل ومصائب على امتداد الزمان من قبل أعداء الإسلام من التشكيك وإثارة الشبهات وما إلى ذلك من الأمورولكن العلماء قاموا بالرد على شبهاتم وتشكيكهم بجواب مفحم ومقنع حيث ضحوا بحياتهم لخدمة السنة وحمايتها بكل تفانيهم .وإذا صرفنا أنظارنا إلى تاريخ السنة النبوية نجد أن علماء المسلمين خدموا لحماية السنة خدمات ضخمة حيث وضعوا القواعد والضوابط فى رواية الحديث وألفوا الكتب مراعين بالسند والمتن.وكانوا منتبهين لرواية الحديث حيث اهتموا اهتماما كبيرا بتمييز الأحاديث الصحيحة من الاحاديث الضعيفة والموضوعة .

ومن المؤسف جدا أن آراء المعتزلة أي تقديم العقل على النقل تنتشر فى هذه الأيام كما كان في أيام السلف ويردون الأحاديث الصحيحة بلا علة في المتن والإسناد معتمدين على العقل فقط. ويردون الأحاديث الصحيحة بادعاء أنها تخالف الآيات القرآنيةأو الفكرأو أوالعقل أو ما إلى ذلك من الأمور.وعزمت أن أرد شبهاتهم بجواب مقنع ولذا اخترت هذا الموضوع.

---

[1] سورة النساء
[2] سورة النساء
[3] سورة الأحزاب

ويسرني في هذه الأوان الأخيرة أن الله تعالي منّ على بفرصة قيمة , لتلقي العلوم الشرعية في كلية ابن عباس العربية المتواجدة في جنوب سيلانكا التى يعتز كل من ينتسب إليها بتلقى العلوم الشرعية فيها تحت ضوء الكتاب والسنة عند الأساتذة الأخيار.

ولما كان سلوك هذه الكلية يلزم من ينهى الدراسة العلمية فيها للحصول على "شهادة المولوى" بتقديم بحث علمي في عنوان يختاره الباحث بعد قبول لجنة البحوث به تحت الإشراف على أحد الأساتذة النبلاء.تاقت نفسي أن أبذل جهدي قدر استطاعتي في اختيارموضوع " شبهات وردود حول الأحاديث الصحيحة" لخدمة السنة النبوية وحمايتها

وأهم أسباب اصطفاء هذا الموضوع الرد على من ينكر الأحاديث الصحيحة بتقديم العقل على النقل باسم الاجتهاد والبحث العلمي خاصة بعض علماء الهند وسريلنكا.وسد انتشار هذه الآراء الخبيثة بين العوام

وهناك عدة أسباب لاختيار هذا الموضوع غير ماذكرت أعلاه :

أ- أهمية السنة الطاهرة في ميزان الإسلام وتطرقها إلى التشويه والاحتقار بين ألسنة المستشرقين الذين تحاكموا في قبول الحديث إلى العقل الضعيف وطرحوا ضد الإسلام أسئلة من كل الوجوه ويظن من ليس له عقل صريح وذكاء وجود النقصان والتعارض في الدين الذي لا عوج فيه ولا تناقض.

ب-امتلاء قلوب عامة المسلمين بالمجاهيل التي تسلطت عليها وشغفهم العميق الذي لايرى قعره في تساهل قبول الحديث لا سيما من يسمى بأهل السنة والجماعة

ج- المفاهيم الواهية والفتاوى الجاهلة والشبه الضالة حول رد الأحاديث الجادة .فألقيت على عنقي ربقة الغيرة لتصفية تلك الشبه والقضاء عليها قضاء نهائيا.

د- همتي البالغة وشغفي الصميم له تعلق بشغاف قلبي منذ أيام ترد فيها على سمعي صيحات السلف في حفظ السنة من شوائب الإستشراق .

هـ - عدم اختيار أحد من الخريجين هذا الموضوع .

ولست منسيا في هذا المقام لتقديم شكري لله المنان ثم للأستاذ الشيخ الفاضل أبي حمدة فرناس بن باب الهدى حفظه الله (العباسي) الذي تولى الإشراف على بحثي وساعدني كل المساعدة ؛ رغم أنه مشغول بالمهام الأخرى . كما أقدم جزالة الشكر لمدير هذه الكلية أبي محامد دين الحسن ابن وهاب الدين على تولية مسؤولية توعية البحث على وجه متكامل .وأيضا أشكر كل من ساعدني على إتمام هذا البحث الصغير على ما يرام .

وقد استعددت لرسم هذا البحث قدر استطاعتي بما كان عندي من التوفيرات والتمكينات وقد أعانني الله على إتمام هذا البحث ، ومن وجد في هذا البحث خطأ فعليه أن يصححه وإنني فى حال قبول كل خطأ وقع مني ،وأما أنا فراجع منه فى حياتي وبعد مماتي.

وأسأل الله أن يقبل هذا العمل خالصا لوجهه .والحمد لله رب العالمين.

أخوكم الطالب

أبوشذى شفني بن محي الدين

كلية ابن عباس العربية

خطة البحث

الباب الأول :- السنة النبوية في التشريع

المبحث الأول :- تعريف السنة

المبحث الثاني :- تدوين السنة

المبحث الثالث :- حفظ السنة

الباب الثاني :- ضوابط صحة الحديث

الباب الثالث :- احتجاج المنكرين للحديث الصحيح والجواب عنه

المبحث الأول : عدم معارضة السنة للقرآن وتبيينها له

المبحث الثاني : النقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح

الباب الرابع: الأحاديث الصحيحة المزعومة بالمردودة

1:- قصة أم حرام بنت ملحان

2:- حديث من عادى لي وليا

3:- حديث تمرات عجوة

4:- حديث إذا وقع الذباب

5:- حديث لطم موسى عليه السلام ملك الموت

6:- حديث سترون ربكم

7:- حديث السحر للنبي

8:- حديث كل ابن آدم يأكله التراب

9:- حديث سالم مولى مولى (رضاع الكبير)

10:- الحديث الذي ذكر فيه سجود الشمس

11:- حديث عن الحجر الأسود

12:- حديث خروج المهدي

13:- حيث سليمان عليه السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة

14 :- حديث تكلم البقرة

15 :- حديث قتل الوزغ

16 :- حديث إن المرأة تقبل في صورة شيطان،

17 :- حديث إن الحبةَ السوداءَ شفاءٌ مِن كل داءٍ إلا السامِ

18:- حديث العين

19 :- حديث قتل مائة نفس

20 :- حديث "المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء"

الباب الأول:- السنة النبوية في التشريع

المبحث الأول :- تعريف السنة

السنة في اللغة:-هي الطريقة المسلوكة محمودة كانت أو مذمومة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"[1].
والسنة أيضا:هي العادة قال تعالى: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ}[2].
وفي الشرع:- هِيَ مَا بَين بِهِ النَّبِي [صلى الله عَلَيْهِ وَسلم] كتاب الله تَعَالَى بِالْفِعْلِ، فَهِيَ طَرِيقَته المتبعة فِي بَيَان هَذَا الدّين الَّتِي جرى عَلَيْهَا أَصْحَابه قولا وفعلا وتقريراً وتركا،
وفي الشرع تطلق على معانٍ
1= منها: الشريعة،وبهذا المعنى جاءقولهم: الأوْلى بالإمامة الأعلم بالسنة, أي: بأحكام الشرع.
2= ومنها: الطريقة المسلوكة في الدين،فتنتظم المستحب والمباح،بل الواجب والفرض أيضا.
3= وعرفا -عند الفقهاء- تقيد بأنها الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولاوجوب.
والمرادبـ "الطريقة المسلوكة في الدين": ما سلكها رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وغيره ممن هم عَلَم في الدين، كأصحابه –رضي الله عنهم- لقوله عليه الصلاةوالسلام:
"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، فتمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ"[3]
ولذلك يطلق لفظ السنة أيضا على ما عمل عليه الصحابة -سواء عثرنا عليه, أو لم نعثر عليه فيها- لكونه اتباعا لسنة ثبتت عندهم.

4= وتطلق السنة عند علماء أصول الفقه: على ما صدر عن النبي -صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.
فهي هنا مصدر من مصادر التشريع كالقرآن الكريم.
5= وعلماء الحديث يريدون بالسنة: ما نقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقيه أو سيرة مطلقا. وهي بهذا مرادفة لمعنى الحديث.

---

[1] مسلم (1017)

[2][الإسراء: 77]

[3](أخرجه أبوداود في السنة: 7/ 11، 12،والترمذي في العلم: 7/ 438-441،وقال: هذا "حديث حسن صحيح)

أما تعريف السنة عند الفقهاء فهي: كل شرع غير مفروض أوغير لازم يعني: السنة في عرف الفقهاء هي المندوب الذي هوالمستحب،الذي نقول عنه: هوخطاب الشارع المكلفين على وجه الاستعلاء لاعلى وجه اللزوم، وحكمه: أنه يثاب فاعله ولايعاقب تاركه.
والسنة عند أهل العقيدة هي أصول الدين ،هي: اعتقاد النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاد الصحابة رضوان الله عليهم، فهي مقابل البدعة، ولذلك ترى كتب العقيدة كلها تتحدث إما عن اعتقاد النبي صلى الله عليه وسلم أو عن البدعة التي تخالف هذا الاعتقاد، كما في السنة لـ ابن أبي عاصم والسنة للإمام أحمد بن حنبل .
والسنة عند أهل الحديث هي: كل ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول،أوفعل، أوتقرير،أوصفة خَلْقية،أوصفة خُلُقية.

المبحث الثاني :- تدوين السّنة فِي عهد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وَلَكِن السّنة لم تدون فِي حَيَاة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خشيَة اختلاطها بِالْقُرْآنِ الْكَرِيم كَمَا هُوَ مَعْرُوف من نهي الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَذَلِكَ بَقِي الْأَمر على هَذَا الْحَال فِي عهد الصَّحَابَة رَضِي الله عَنْهُم إِلَّا من استثناءت خَاصَّة لبَعض الصَّحَابَة المعروفين بعلمهم وضبطهم، فَكَانَت لبَعْضهِم مدوناته فِي السّنة، بِالْإِضَافَة إِلَى أَن مَنْهَج الاستيثاق وضعت معالمه فِي وَقت مبكر حِين جمع كتاب الله تَعَالَى فِي عهد الْخَلِيفَة أبي بكر الصّديق رَضِي الله عَنهُ ثمَّ فِي عهد عُثْمَان رَضِي عَنهُ، وَكَانَ لَا بُد من شَهَادَة اثْنَيْنِ من الصَّحَابَة على الْأَقَل حَتَّى يتم تدوين الْآيَة فِي موضعهَا من الْقُرْآن الْكَرِيم، وَقد انسحب هَذَا الشَّرْط على قبُول الحَدِيث أَيْضا، فَلم يُقبل حديثٌ من راوٍ مَا لم يتوفر لَهُ شَاهد أَو أَكثر، وَقد تورع كثير من الصَّحَابَة عَن رِوَايَة الحَدِيث مَا لم يَكُونُوا على يَقِين تَامّ مِمَّا ينقلون، حَيْثُ أَن أَمر حفظ السّنة وتناقل رِوَايَات الحَدِيث لم يكن مُشكلا طالما أَن جيل الصَّحَابَة كَانَ مَوْجُودا.

تدوين السّنة بعد جيل الصَّحَابَة:

وَلما بَدَأ جيل الصَّحَابَة يتناقص وامتد الْإِسْلَام إِلَى شعوب وأمم أُخْرَى، وَكَانَت الْأَحَادِيث تتناقل شفاهة بشروطها التوثيقية، شعر الْمُسلمُون بضرورة تدوين السّنة كَامِلَة، وبذل عُلَمَاء السّنة جزاهم الله خيرا جهودًا محمودة فِي تدوينها، وَوضعت عُلُوم مُتَعَدِّدَة لتنقية السّنة من الشوائب الَّتِي ابتدعها أَصْحَاب الْأَهْوَاء والنحل الْبَاطِلَة،وَكَانَ الأساس فِي تدوين السّنة مَنْهَج الاستيثاق الَّذِي اعْتَمدهُ الصَّحَابَة رَضِي الله عَنْهُم فِي وَقت مبكر بعد أَن طوروه إِلَى الصُّورَة الَّتِي جعلت مِنْه خير

مَنْهَج علمي موضوعي يُمكن أَن يتوافر عَلَيْهِ بشر، حَتَّى أننا لَانعهد فِي التَّارِيخ العالمي نبيًّا أوعَظِيما بُذِل فِي سَبِيل تَحْقِيق مَنْطُوق كَلَامه وَمَا رُوِي عَن أَحْوَاله وَسيرَته بشكل عَام مَا توفر للرسول الْخَاتم عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام. وَلَاغرابة فِي ذَلِك فَإِن من لَوَازِم الرسَالَة الخاتمة وصولها نصًّا سليما وبيانًا صَحِيحا كثمرة للْحِفْظ الرباني لهَذَا الدّين{ إِنانَحْنُنَزَّلْنَاالذِّكْرَوَإِنَّالَهُلَحَافِظُونَ }[4] . فقيض الله لَهُ من يدْفع عَنهُ الشّبَه ويجلي الْحَقِيقَة ،وينقله بِسَنَد مُتَّصِل على هَذَا النَّحْومن السَّلامَة والدقة.

اتجاه عُلَمَاء السّنة فِي عملية التدوين وَدفع الشّبَه .

وَقد اتجه عُلَمَاء السّنة فِي بنائهم لصرحها اتجاهين واضحين لَا يُغني أَحدهمَا عَن الآخر: الأول فِي تدوين السّنة الصَّحِيحَة بإسنادها ،وَالثَّانِي دفع الشّبَه والأهواء الْبَاطِلَة وَبَيَان وَجه الْحَقِيقَة فِي ذَلِك.

وَيُمكن أَن يصنف هَذَا الْكتاب "تَأْوِل مُخْتَلف الحَدِيث" ضمن الْمَجْمُوعَة الثَّانِيَة فِي الدفاع عَن السّنة ،ويتميز بِأَنَّهُ عرض الشّبَه الَّتِي أثيرت حول تنَاقض بعض الْأَحَادِيث فِيمَا بَينهَا، أَومعارضتها لآيَات فِي كتاب الله تَعَالَى ،أَوخُرُوجهَا عَن منطق الْعقل ومبادئ الْفِكر الْمُتَعَارف عَلَيْهَا، أَومخالفتها لمألوف النَّاس ومعروفهم، أَو لسنن الطبيعة وقوانينها العلمية. تِلْكَ الشّبَه الَّتِي أثارها المخالفون، الْأَمرالَّذِي حملهم على إِسْقَاط بعض الْأَحَادِيث وتعطيلها.

وَلَقَد كَانَ عمل الْمُؤلف رَحمَه الله بَيَان الْحَقِيقَة بالأدلة العلمية، وتفنيد المزاعم وكشف قُصُور الْفَهم بالملابسات المرافقة لوُرُود النَّص..

وَيعْتَبر هَذَا الْكتاب – إِضَافَة إِلَى كتب أُخْرَى فِي الْمَوْضُوع نَفسه- نَافِذَة نطل مِنْهَا على التيارات الفكرية والمذهبية الَّتِي كَانت مَوْجُودَة فِي الْقرن الثَّالِث، مِمَّا يعْتَبرسجلًا حيًّا وَشَاهدا وَاضحا على مَا دَار فِي عصر الْمُؤلف من مناظرات ومنازعات وحوار رسخت فِيهَا أَقْدَام ، وزلت بهَا عَن الْحق أفهام. وَهِي على كل حَال سجل تاريخي يُغني ويثري الْفِكر الإسلامي، ويعين على التَّمَسُّك بالنافع الصَّالح، كَمَا يبصر بالمزالق والأهواء.[5]

المبحث الثالث: جهود الصحابة والتابعين في حفظ السنة .

كان مصدر التشريع في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كتاب الله وسنة رسوله، ينزل الوحي فيبلغه النبي الكريم إلى الناس كافة، ويبين مقاصده، ثم يطبق أحكامه، فكان الرسول صلى الله

---

[4] [الحجر: 9]
[5] تأويل مختلف الحديث (ص: 10)

عليه وسلم المرجع الأعلى في جميع أمور الأمة، في القضاء والفتوى، والتنظيم المالي والسياسي والعسكري، ويعالج الأمور على مرأى من أصحابه رضي الله عنهم.
ثم ما لبث أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، وانقطع الوحي ولم يبق أمام الأمة إلا القرآن الكريم والسنة الشريفة، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي"[6] .
وتمسك الصحابة والتابعون بسنته عليه الصلاة والسلام استجابة لأوامر الله عز وجل وطاعة لرسوله عليه الصلاة والسلام.
إن الله امتن على هذه الأمة بأن خلق جهابذة يعيشون لهذه السنة ويحفظونها، قال الله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [7]، فكانوا يعتنون بالرجال الذين يروون حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فمنهم من أنفق كل ماله، ومنهم من أنفق عمره وجهده، وأسهر ليله، وأتعب نفسه من أجل هذا الإسناد.
أما جهود العلماء المحدثين من الصحابة ومن تبعهم في حفظ السنة النبوية فإنها جهود مباركة ضخمة، وقعت مصداقا لقوله جل وعلا في سورة الحجر {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ولقوله جل وعلا: في سورة التوبة: {{فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّين وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُم يَحْذَرُونَ}[8]ومصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند وأبو داود في السنن والترمذي في الجامع وابن ماجه والدارمي في سننيهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "نضر الله امرأً سمع مني حديثا فحفظه، حتى يبلغه فرب مبلغ أحفظ له من سامع" قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى (في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة) : "هذا الحديث متواتر".[9] وقال في تدريب: "روي من ثلاثين صحابيا".

وعلى الرغم من تتابع القرون، وتعاقب الأجيال.. وعلى الرغم من كثرة الزنادقة والمفسدين، إلا أن الله (تعالى) حفظ سنة نبيه من التبديل والتحريف، وبذل أئمة الإسلام جهوداً عظيمة جداً في حفظها ورعايتها، ووقفوا سداً منيعاً في وجوه الزنادقة والعابثين قديماً وحديثاً، وهذه منّة جليلة على هذه الأمة، نحمد الله (تعالى) عليها حمداً كثيراً.
وقد تمثلت جهود الأئمة في حفظ السنة في مسائل عديدة، أذكر منها:
أولاً: حفظ السنة وضبطها في عصر النبي -صلى الله عليه وسلم-وعصر الصحابة: - حَثّ النبي - صلى الله عليه وسلم- على حفظ السنة
ونقلها: حثّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على رعاية السنة النبوية ونقلها، فقال: (بلغوا عني ولو آية) [10]، وكان يقول في مناسبات عدة: (وليبلِّغ الشاهد الغائب)[11].
وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- حريصاً أشدّ الحرص على أن يُنقل كلامه

---

[6](موطامالكتالأعظمي (5/ 1323
[7] [الحجر: 9]
[8][التوبة: 122]
[9]قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجه (232) ، وأخرجه الترمذي (2657)
[10] أخرجه: البخاري (496/6) .
[11]أخرجه البخاري، 158/1، 198، ح/67، 104.

نقلاً صحيحاً دقيقاً، ويتبيّن ذلك في الأمور التالية:
أ- ترغيبه في حفظ السنة ونقلها:رغّب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حفظ السنة، ودعا لنَقَلَةِ الحديث بالنضارة والبهاء، فقال: (نضّر الله امرءاً سمع منّا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه غيره، فرُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربّ حامل فقه ليس بفقيه[12] وكان يقول لأصحابه: (احفظوهنّ وأخبروا بهن مَنْ وراءكم)[13]. وقال لمالك بن الحويرث وأصحابه: (لو رجعتم إلى بلادكم فعلّمتموهم) [14].

ب- دعاؤه لأصحابه بالفهم والحفظ:كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدعو لبعض أصحابه بالفقه والفهم، فهو يقول عن ابن عباس (رضي الله عنهما) : (اللهم فقهه في الدين) [15]، وكان يدعو لبعض أصحابه بالحفظ والضبط، فها هو ذا يقول لأصحابه يوماً: (من يبسط ثوبه حتى أقضي مقالتي، ثم يقبضه إليه، لم ينس شيئاً سمع مني أبداً) ، قال أبو هريرة (رضي الله عنه) : ففعلتُ، فوالذي بعثه بالحق ما نسيت شيئاً سمعته منه [16]

ج- تكراره الحديث حتى يُفهم عنه: عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أنّه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، حتى تفهم عنه) [17] عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا أخذت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري
إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، واجعلهن من آخر كلامك، فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة) . قال: فردّدتهن لأستذكرهن، فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت، قال: (قل: آمنت بنبيك الذي أرسلت) [18].

هـ : تحذيره الشديد من الكذب عليه: حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- تحذيراً شديداً من الكذب عليه، فقال: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) [19]، وقال: (من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)[20].
وهذا التحذير إنما هو لمن جاء بعد الصحابة (رضي الله عنهم) ، إذ إن الصحابة عدولٌ بتعديل الله (تعالى) لهم، (فلا يعرف من الصحابة من تعمد الكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وإن كان فيهم من له ذنوب، لكن هذا الباب ممّا عصمهم الله فيه من تعمد الكذب على نبيهم)[21].

---

[12]أخرجه أبو داود، ح/438/3، والترمذي، 141/4، وابن ماجة، 1/ 84، وإسناده صحيح.
[13]أخرجه البخاري، ح/129/1، 184، ح/53، 87
[14]أخرجه البخاري (170/2) .
[15]أخرجه البخاري (244/1)
[16]أخرجه البخاري، ح/190/1، 21/5، 271/13، ومسلم، ح/4/ 1940 رقم 2492.
[17]أخرجه البخاري، 188/1، رقم 95.
[18]أخرجه مسلم، 2082/4، رقم 2710.
[19]أخرجه البخاري، ح/200/1، ومسلم، 10/1.
[20]أخرجه مسلم (9/1) .
[21]ابن تيمية في الرد على الأخنائي، ص 103.

وإذنه للصحابة بكتابة الحديث: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد نهى أصحابه عن كتابة السنة[22]،
خشية أن تختلط بالقرآن، أو أن يشتغل الناس بها دون القرآن، فلما أمن ذلك أذن لأصحابه بكتابة السنة زيادة في الضبط والإتقان، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ ! فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأومأ بإصبعه إلى فيه، فقال: (اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق)[23].
وفي عام الفتح خطب خطبة في مكة، فجاء رجل من أهل اليمن، فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال رسول الله: (اكتبوا لأبي فلان) [24]. ولهذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يحث أصحابه على هذا، ويقول: (قيّدوا العلم بالكتاب) [25].
ثانياً: حرص الصحابة (رضي الله عنهم) على حفظ السنة وضبطها: كان الصحابة (رضي الله عنهم) يحرصون على الجلوس عند النبي –صلى الله عليه وسلم- وحفظ حديثه، وكانوا أخلص الناس في طلب العلم وفهمه، وأكتفي هنا بالمثالين التاليين:

المثال الأول: تناوبهم في الجلوس عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنّا نتناوب النزول على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك) [26].
المثال الثاني: الرحلة في طلب الحديث:
كان الصحابة (رضي الله عنهم) يحرصون على طلب الحديث، ويبذلون في ذلك جهداً عظيماً، حتى قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : (والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه)[27].
وقد رحل جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) مسيرة شهر، إلى عبد الله بن أُنيس (رضي الله عنه) في حديث واحد [28]
وعن عطاء: أن أبا أيوب رحل إلى عقبة بن عامر فلما قدم مصر، أخبروا عقبة فخرج إليه، قال: حديث سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ستر المسلم لم يبق أحد سمعه غيري

---

[22]ورد ذلك في حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه) ، أخرجه: مسلم، 2298/4.

[23]أخرجه أحمد، 162/2، 192، وأبو داود، ح/3646، وقال ابن حجر في الفتح، 207/1:
[24]أخرجه البخاري، ح/112، 2434، 6880، ومسلم، 989/2، وفي بعض الروايات: (اكتبوا لأبي شاة) .
[25]أخرجه الحاكم، 106/1، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح/431.
[26]أخرجه البخاري، 185/1، رقم 89.
[27]أخرجه البخاري، 47/9، ومسلم، 1910/4 1911.
[28]أخرجه البخاري تعليقاً مجزوماً به (173/1) ، وقال ابن حجر: (الإسناد حسن، وقد اعتضد)

وغيرك، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (من ستر مؤمناً على خزية ستر الله عليه يوم القيامة) ، قال: فأتى أيوب راحلته فركبها، وانصرف إلى المدينة، وما حلّ رحله)[29].
وهذه الأمثلة تدلّ على تفانٍ عظيم في حفظ السنة، فكانوا قدوة حميدة لمن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم، ومراجعة كتاب: (الرحلة في طلب الحديث) للخطيب البغدادي تعطي تصوراً واضحاً عن الجهد الكبير الذي بذله أئمتنا في جمع السنة وحفظها.

ثالثاً: توقي الصحابة وورعهم في روايتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم: كان الصحابة (رضي الله عنهم) يتورعون أشد التورع في الرواية عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فعن عمرو بن ميمون قال: كنت آتي ابن مسعود كل خميس، فإذا قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، انتفخت أوداجه، ثم قال: (أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريب ذلك، أو شبيه ذلك، أو كما قال) [30].
وعن السائب بن يزيد قال: (صحبت عبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، والمقداد بن الأسود، فلم أسمع أحداً منهم يتحدث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إلا أني سمعت طلحة بن عبيد الله يتحدث عن يوم أحد)
وعن أبي إدريس: أن أبا الدرداء كان يحدث بالحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فإذا فرغ منه قال: هذا أو نحو هذا، أو شكله) [31]. وعن حبيب بن عبيد الرجي قال: (إن كان أبو أمامة ليحدثنا الحديث كالرجل الذي عليه أن يؤدي ما سمع[32] .
رابعاً: دقة الصحابة (رضي الله عنهم) في الرواية: كان الصحابة (رضي الله عنهم) يتحرون الدقة في روايتهم عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويتورعون في ذلك أشد التورع؛ فها هو ذا عبد الله بن عمر يسمع عبيد بن عمير يحدث بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين) ، فقال ابن عمر: ويلكم، لا تكذبوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إنما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين)
ولهذا قال محمد بن علي: (كان ابن عمر إذا سمع الحديث لم يزد فيه، ولم ينقص منه، ولم يجاوزه، ولم يقصر عنه) وكان الأعمش يقول: (كان هذا العلم عند أقوام كان أحدهم لأن يخرّ من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واواً أو ألفاً أو دالاً). ومن كان من الصحابة يروي بالمعنى، فإنه يتحرى الدقة في ذلك،
فعن عروة ابن الزبير قال: قالت لي عائشة (رضي الله عنها) : يا بني يبلغني أنك تكتب عني الحديث، ثم تعود فتكتبه، فقلت لها: أسمعه منك على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت: هل تسمع في المعنى خلافاً؟ قلت: لا، قالت: لا بأس بذلك

---

[29] الكامل لابن عدي: 32/1، وليس كلام ابن مسعود من باب الشك، ولكنه من شدة التوقي والحذر.
[30] (24) أخرجه أحمد، 153/4، والحميدي، ح/384، وجامع بيان العلم (1/ 392) .
[31] (26) الكفاية، ص 241.
[32] (27) الكفاية، ص 206.

خامساً: تثبت الصحابة (رضي الله عنهم) في سماع الحديث:إن للرواية عن النبي -صلى الله عليه وسلم- شأناً عظيماً جدّاً، ولذا كان أصحابه يتثبتون عند السماع، ويتأكدون من صحة النقل، ونقل عنهم في ذلك أمثلة كثيرة، أذكر منها:

أ- تثبت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) : جاءت الجَدّة إلى أبي بكر (رضي الله عنه) تسأله عن ميراثها، فقال لها: ما لك في كتاب الله شيء، ولا علمت لك في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئاً، فقال المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) : حضرت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعطاها السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذ لها أبو بكر. ولهذا قال الذهبي في ترجمة أبي بكر الصديق: (وكان أول من احتاط في قبول الأخبار).

الباب الثاني: ضوابط صحةالحديث

فأما الشروط العامة فإن الحديث لايقبل عندهم بحال من الأحوال إلا إذا توافرت فيه خمسة شروط أوأربعة، وهي: فقد اتبع المحدثون منهجاً لقبول الحديث الشريف فاشترطوا له خمسة شروط لابد من توفرها،وهذه الشروط هي:

1- الاتصال وهو سماع الراوي ممن حدثه مباشرة
2- ضبط الراوي بحيث يستطيع أداء ما سمع أوكتب على النحو الذي سمعه
3- عدالة الرواة من أول السند إلى منتهاه
4- عدم الشذوذ وهو مخالفة الراوي لمن هو أرجح منه
5- عدم العلة القادحة

وهذا المنهج من خصائص هذه الأمة، وبه حفظ العلماء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلينا منقى من كل الشوائب.

فالشرط الأول هو أهم الشروط، وهو ما اتصل سنده، واتصال السند لايكون إلا من رواية التلميذعن شيخه، بأن يسمع من شيخه، ولذلك فإن العلماء أخذوا المدلسين ووضعوا عليهم سياجاً عظيما ،وذلك مثل أبي الزبير ،فإنه مدلس، وروايته في مسلم عن جابر رضي الله عنه، ولكن العلماء لم يهملوا المد لسين، سواء في الصحيح أوغيرالصحيح،فمثلاً: قالوا عن أبي الزبير: إنه يقبل حديثه بدون قيد أوشرط إذا روى عنه الليث بن سعد؛ لأن الليث كان يوقفه في حديثه ويسأله: أسمعت ذلك من جابر؟ فيقول: سمعت من جابر إذا كان سمعه، وإلا قال: حدثني به فلان عن جابر،

فيكتب الليث كلامه
والضبط نوعان: ضبط صدر، وضبط كتاب، والمقصود هنا: ضبط الصدر، والفرق بين العدل والعادل: أن العادل متعدي ،فهو عادل في أحكامه ومعاملاته، وأما العدل فهو ذاتي والعدالة: ويعنون بها: أن يكون الراوي: مسلما، بالغا، عاقلا، سليما من أسباب الفسق، سليما من خوارم المروءة.
إذاً فقد كان الرواة الثقات وعلماء الجرح والتعديل شديدي الحرص على اتصال السند؛ لأنه شرط أصيل لصحة الحديث
#- بم تثبت العدالة؟:
تثبت العدالة بأحد أمرين:
أ- إما بتنصيص معدّلين عليها، أي أن ينص علماء التعديل أو واحد منهم عليها.
ب- وإما بالاستفاضة والشهرة، فمن اشتهرت عدالته بين أهل العلم، وشاع الثناء عليه كفاه ذلك، ولا يحتاج بعد ذلك إلى معدّل ينص عليها، وذلك مثل الأئمة المشهورين، كالأئمة الأربعة، والسفيانين، والأوزاعي، وغيرهم.

هل يقبل الجرح والتعديل من غير بيان سببه؟:

أ- أما التعديل فيقبل مِنْ غير ذكر سببه على الصحيح المشهور؛ لأن أسبابه كثيرة يصعب حصرها؛ إذ يحتاج المعدل أن يقول مثلا: لم يفعل كذا، لم يرتكب كذا، أو يقول: هو يفعل كذا، ويفعل كذا، وهكذا .
ب- أما الجرح فلا يقبل إلا مفسرا؛ لأنه لا يصعب ذكره، ولأن الناس يختلفون في أسباب الجرح، فقد يجرح أحدهم بما ليس بجارح. قال ابن الصلاح: "وهذا ظاهر مقرر في الفقه وأصوله، وذكر الخطيب الحافظ أنه مذهب الأئمة من حفاظ الحديث ونقاده، مثل البخاري ومسلم وغيرهما، ولذلك احتج البخاري بجماعة سبق من غيره الجرح لهم، كعكرمة، وعمرو بن مرزوق، واحتج مسلم بسويد بن سعيد، وجماعة اشتهر الطعن فيهم، وهكذا فعل أبو داود. وذلك دالٌّ على أنهم ذهبوا إلى أن الجرح لا يثبت إلا إذا فسر سببه"[33].

مظاهر احتياط الصحابة في قبول الحديث الشريف

كما احتاط الصحابة في التحديث احتاطوا أيضًا وتثبتوا في قبول الأخبارعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خشية الوقوع في الخطأ، ومن مظاهرذلك ما يلي:

---

[33]علوم الحديث ص96 باختصار يسير.

الأول: طلبهم شاهدًا على السماع : قال الحافظ الذهبي: كان أبوبكر –رضي الله عنه- أول من احتاط في قبول الأخبار، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكرتلتمس أن تُورث، فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئًا، وما علمت أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ذكرلك شيئًا، ثم سأل الناس، فقام المغيرة فقال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه[34].

وروى الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: "كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثًا، فرجعت فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع"، فقال: والله لتقيمن عليه ببينة3 ، أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أُبي بن كعب: والله لايقوم معك إلا أصغرالقوم،فكنت أصغرالقوم، فقمت معه، فأخبرت عمرأن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال ذلك4،فقال عمر لأبي موسى: أما إني لم أتهمك؛ ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم[35]

وروى الإمام مسلم عن المسور بن مخرمة قال: استشار عمر بن الخطاب الناس في ملاص المرأة[36]،فقال المغيرة بن شعبة: شهدت النبي قضى فيه بغُرَّة[37]: عبد أو أمة. قال: فقال عمر رضي الله عنه: ائتني بمن يشهد معك. قال: فشهد له محمد بن مسلمة[38].

وروى صفوان بن عيسى : أخبرنا محمد بن عمار عن عبد الله بن أبي بكرقال: كان للعباس بيت في قبلة المسجد، فضاق المسجد على الناس، فطلب إليه عمر البيع فأبى، فذكرالحديث. وفيه: فقال عمر لأُبي : لتأتيني على ما تقول ببينة، فخرجا فإذا ناس من الأنصار قال: فذكرهم،قالوا: قد سمعنا هذا[39] من رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فقال عمر: أما إني لم أتهمك؛ ولكني أحببتُ أن أثبت.

قول القائل: إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات، فإما أن يجمع بينهما، وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يردا جميعاً، وإما أن يقدم السمع، وهو محال، لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً، فوجب تقديم العقل، ثم النقل إما أن يتأول، وإما أن يفوض.

وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما، ولم يمتنع ارتفاعهما.

---

[34]تذكرة الحفاظ "1/ 3" والحديث في الموطأ "2/ 513"، وسنن أبي داود "3/ 316، 317" "13" كتاب الفرائض "5" باب في الجدة - حديث "2894"، سنن الترمذي "4/ 365، 366"

[35]الموطأ "2/ 964".

[36]ملاص: هو جنين المرأة، والمشهور لغة: إملاص المرأة.

[37]الغرة: العبد والأمة

[38]صحيح مسلم "3/ 1311" "28" كتاب القسامة "11" باب دية الجنين ... حديث رقم "39/ 1689".

[39]أي: حديث بناء بيت المقدس الذي ذكره أبي بن كعب رضي الله عنه.

وهذا الكلام قد جعله الرازي وأتباعه قانوناً كلياً فيما يستدل به من كتاب الله تعالى وكلام أنبيائه عليهم السلام، وما لا يستدل به، ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون في صفات الله تعالى، وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها، وظن هؤلاء أن العقل يعارضها، وقد يضم بعضهم إلى ذلك أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين،

الباب الثالث :- احتجاج المنكرين للحديث الصحيح والجواب عنه

المبحث الأول : عدم معارضة السنة للقرآن وتبيينها له

نقل ابن عبد البر –رحمه الله- في كتاب: التمهيد عن الإمام أحمد، قال: إن الذين يعارضون الأحاديث بظاهر القرآن عملهم منكر، لا ينبغي أن تعترض على الأحاديث بظاهر القرآن؛ لأن القرآن حمال ذو وجوه، والسنة بينت القرآن، فينبغي أن يؤخذ بالمبيِّن، وهذا معنى قول يحيى بن أبي كثير رحمه الله: إن السنة قاضية على كتاب الله، وهذا أيضاً كلام الإمام الدارمي، وابن عبد البر، وجماعة من السلف.

سئل الإمام أحمد هل تذهب إلى أن السنة قاضية على كتاب الله؟ فقال: ما أجسر أن أقوله، إنما السنة مبينة لكتاب الله، إذاً: المسألة لفظية فقط، كأن الإمام أحمد كره هذا اللفظ الذي يتصور منه تقديم السنة على القرآن، فلأجل هذا تحاشى الإمام أحمد إطلاق اللفظ، وأتى بلفظ يفهم منه المعنى تماماً، وهو أن السنة مبينة للقرآن.

ومعنى أن السنة قاضية على القرآن أنه إذا اختلف اثنان فيتحاكمان إلى القاضي أليس كذلك؟ كل واحد يدلي بما عنده من دليل، فيقول القاضي: الحق مع فلان، فإذاً: القاضي قضى لفلان بعدما ثبتت حجته وظهرت واستبانت، كذلك السنة.

خذ مثالاً: قال الله تبارك وتعالى: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} [40]، قال الشافعي رحمه الله: هذه الآية حجة لمن ذهب إلى جواز إتيان المرأة في دبرها، ولكن صح عندنا حديثان في منع إتيان المرأة في دبرها فالسنة قضت على أحد المعنيين في كتاب الله، وهذا معنى أن السنة قاضية على كتاب الله.

أي: أن هناك لفظة في القرآن تحتمل معنيين، فتأتي السنة فتقضي بين المعنيين، وتقول: المعنى الأول هو المراد، والثاني غير المراد، فتكون السنة قد قامت بدور القاضي بين المعاني، فلذلك صارت قاضية على كتاب الله لا أنها مقدمة على كتاب الله.

---

[40] [البقرة:223]

مثال آخر: قول الله تبارك وتعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ} [41]، فذهب علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة، وتابعهما جماهير أهل الكوفة، إلى أن القرء حيض، وذهبت عائشة وأبو هريرة وابن عمر وغيرهم وتابعهم جماهير أهل المدينة، وكذلك الشافعي إلى أن القرء طهر، واللغة العربية تمتاز بهذا الباب الذي هو كلمات الأضداد، فبعض الكلمات تحمل معنى وعكسه، والذي يبين المقصود هو السياق.

مثل كلمة: ظن، فالظن معناه الشك، وقد يكون معناه اليقين، كقوله تبارك وتعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ}[42] فالآية في سياق المدح لهم، فلا يتصور أن الظن شك؛ لأن الشاك في لقاء الله كافر، فالظن بمعنى اليقين الذي لا شك فيه، وكقوله تبارك وتعالى: {إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ}[43] ، وقوله: {إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ}[44]، وقوله: {إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}[45].

كذلك كلمة: وراء، قد تعني: أمام، وقد تعني خلف، أما أنها تعني خلف فعلى بابها، أما (أمام) فكقوله تعالى في قصة الخضر: {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [46] أي: أمامهم، لأنه لو كان وراءهم لتجاوزوه، فما هي الحاجة إلى خرق السفينة، فهذه اللفظة تحمل عكس معنى اللفظ الأصلي.

فمن كلمات الأضداد كلمة: قرء، يعني: طهر، وحيض، فأهل الكوفة قالوا: حيض، والدليل على ذلك أن المرأة التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشتكي نزول الدم منها بصورة مستمرة، وقال لها النبي عليه الصلاة والسلام: (دعي الصلاة أيام أقراءك) ، أي: اتركي الصلاة في أيام أقراءك، فهذا يدل على أن القرء حيض، فالسنة هنا قضت لأحد المعنيين على الآخر، وهذا هو معنى السنة قاضية في كتاب الله، وهي مبينة.

وتصوروا أيها الإخوة! إذا ضاع البيان فهل يستفاد من النص المجمل؟ فهؤلاء يأتون على أحاديث لا يفهمونها على وجهها، فيقولون: هذه مكذوبة، وهذه موضوعة.

نقول: إن الحكم على الحديث بالوضع، أو بالنكارة، أو البطلان، أو الشذوذ، أو الصحة، أو الحسن، إنما يخضع أولاً للإسناد، قال ابن المبارك:«الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[47]»

نتمنى أن تكون هناك نهضة عملية في علم الحديث، لا يظل الحديث في الدفاتر، لكن يجب أن نمارس علم الحديث على الواقع.

لأننا لو مارسنا علم الحديث على الواقع لتقلص كثير من القيل والقال، كل إنسان يكتب كلمة نسأله عن دليله، ثم نسأله من سبقه إلى هذا القول من أهل العلم؟

---

[41][البقرة:228]
[42][البقرة:45-46]
[43][الحاقة:20]
[44] [الجاثية:32]
[45][يونس:36]
[46][الكهف:79]
[47]صحيح مسلم (1/ 15

المبحث الثاني : النقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح

العقل مصدر من مصادر المعرفة الدينية، إلا أنه ليس مصدراً مستقلاً؛ بل يحتاج إلى تنبيه الشرع، وإرشاده إلى الأدلة؛ لأن الاعتماد على محض العقل، سبيل للتفرق والتنازع ، فالعقل لن يهتدي إلا بالوحي، والوحي لا يلغي العقل.

وقد رفع الوحي من قيمة العقل وحث على التعقل، وأثنى على العقلاء، قال تعالى: (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) [48]

والنصوص الشرعية قد جاءت متضمنة الأدلة العقلية صافية من كل كدر، فما على العقل إلا فهمها وإدراكها، فمن ذلك: قوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)[49].

وقال سبحانه: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)[50]. وقال جل وعلا: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا)[51]. وخوض العقل في أمور الإلهيات باستقلال عن الوحي مظنة الهلاك وسبيل الضلال.

يقول ابن رشد الفيلسوف -وهو ممن خاض بالعقل في مسائل الاعتقاد وطالت تجربته-: لم يقل أحد من الناس في العلوم الإلهية قولا يعتد به، وليس يعصم أحد من الخطأ إلا من عصمه الله تعالى بأمر إلهي خارج عن طبيعة الإنسان، وهم الأنبياء. والمقارنة بين طريقة الوحي وطرق الفلاسفة والمتكلمين في بحث أمور العقيدة هي مقارنة بين الصواب والخطأ، والصحيح والفاسد، والنافع والضار.

يقول الرازي - بعد طول بحث -: ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن. وقال: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن .. ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي [52]

فميزان صحة المعقولات هي الموافقة للكتاب والسنة. قال في (الحجة): وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم عليه، وإن وجدوه مخالفاً لهم تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم. والعقل قد يهتدي بنفسه إلى مسائل الاعتقاد الكبار على سبيل الإجمال، كإثبات وجود الله مع ثبوت ذلك في الفطرة أولاً.

---

[48][الزمر: 17 - 18].
[49][الأنبياء: 22]
[50][الطور:35]
[51][سورة النساء: 82]
[52]شرح صحيح مسلم – حسن أبوالأشبال (ج 81/ص 22)،

من أصول عقيدتنا: أن نصوص الكتاب والسنة لا يخالفان العقل الصريح الصحيح أبداً، ولذلك فلو جاء متهافت فقال: إن عقلي لا يقبل هذا النص من القرآن أو من السنة، ولو كان في صحيح البخاري قلنا له: اخسأ فلن تعدو قدرك، وأمرك مردود عليك، يا صاحب العقل المريض.
كثير من الذين يكتبون الآن يكتبون بهذا الدافع، ويقولون: لا يمكن عقلاً أن يكون معنى الآية كذا، لا يمكن عقلاً أن يكون الحديث صحيحاً، إن هؤلاء يفترون على الله الكذب فاحذروا منهم معشر المسلمين.
يستوعب ما يحتج به طوائف النفاة من الحجج العقلية وقد تقدم بيان فساد ذلك جميعه من وجوه متعددة تبين أن جميع ما يعتمدون عليه من الحجج التي يسمونها براهين عقلية التي عارضوا بها ما جاء به القرآن والحديث باطلة وأن العقل الصريح موافق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يناقضه فالعقل الصريح لا يخالف النقل بل هو يوافقه ويعاضده ويؤيده ويكفينا أن نبين فساد ما يعارضه أما ذكر ما يوافقه من العقليات النظرية فهذا أبلغ وأحسن وقد تبين أن الفطرة العقلية الضرورية متوافقة والعقليات النظرية موافقة فالذين عارضوه هم خالفوا السمع والعقل فكانوا من جنس الذين قالوا (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)[53]
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الوحي يخبر بمحارات العقول لا بمحالات العقول.
والعقل السليم النظيف لا يصطدم بالوحي الصريح الصحيح، فالوحي يخبر بمحارات العقول، أي: عن الحاجات التي يحتار فيها العقل، فالوحي يفسرها له ويوضحها، فهو يخبر بمحارات العقول لا بمحالات العقول، يعني: لو كان العقل نظيفاً وسليماً مائة في المائة فلا تأتي سنة صحيحة بمخالفته كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: درء تعارض المنقول مع صريح المعقول، أو: درء تعارض العقل والنقل.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: واعلم أن عامة مسائل أصول الدين الكبار مما يعلم بالعقل[54]. أما مسائل العقيدة التفصيلية مما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته ورسوله وأنبيائه، وما يجب لهم وما يستحيل، فما كانت العقول لتدركها لولا مجيء الوحي.
قال أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني: ولأن العقل لا مجال له في إدراك الدين بكماله، وبالعلم يدرك بكماله [55] ويقصد بالعلم الوحي.
قال شيخ الإسلام رحمه الله: لا تحسبن أن العقول لو تركت وعلومها التي تستفيدها بمجرد النظر، عرفت الله معرفة مفصلة بصفاته وأسمائه على وجه اليقين.
وأخيراً: فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح؛ فالأول خلق الله تعالى والثاني أمره، ولا يتخالفان؛ لأن مصدرهما واحد وهو الحق سبحانه:(أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ)[56].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وليس في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح؛ لأن ما خالف العقل الصريح باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن

---

[53][الملك 10]
[54]((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (19/ 229 - 230).
[55]((الحجة في بيان المحجة)) لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني (2/ 504)
[56][الأعراف: 54]

فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلاً، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة)[57].

ولذا قال الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله: (من الله عز وجل العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم) [58]، (وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل، وهو أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد؛ بل هو دون ذلك بكثير، فإن العامي يمكنه أن يصير عالماً، ولا يمكن للعالم أن يصير نبيا رسولاً.[59]

الباب الرابع: الأحاديث الصحيحة المزعومة بالمردودة

1:- حديث أم حرام بنت ملحان

حدثنا عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه سمعه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه - وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت - فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطعمته وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: " ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة، أو: مثل الملوك على الأسرة "، شك إسحاق، قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله» - كما قال في الأول - قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين»، فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت[60]

.وَفِيه أَنَّهَا كَانَت تفلي رَأس رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم.

إِنَّمَا كَانَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يقيل فِي بَيتهَا، وتفلي رَأسه لقرابة بَينهمَا. وَقد روى أَبُو عمر بن عبد الْبر فِي كتاب " التَّمْهِيد " عَن يُونُس بن عبد الْأَعْلَى قَالَ: قَالَ لنا ابْن وهب: أم حرَام إِحْدَى خالات النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من الرضَاعَة. فَلهَذَا كَانَ يقيل عِنْدهَا وينام فِي حجرها، وتفلي رَأسه.

---

[57]((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (11/ 490).
[58]((السنة)) للخلال (3/ 579)، و ((فتح الباري)) لابن حجر (13/ 504).
[59]((شرح الطحاوية)) لابن أبي العز (1/ 231)
[60]صحيحالبخاري (4/ 16)و(9/ 34)

وَعَن يحيى بن إِبْرَاهِيم قَالَ: إِنَّمَا استجاز رَسُول الله أَن تفلي رَأسه أم حرَام، لِأَنَّهَا كَانَت مِنْهُ ذَات محرم من قبل خالاته، لِأَن أم عبد الْمطلب بن هَاشم كَانَت من بني النجار.

قال الحافظ ابن حجر: «والأخير هو المعتمد، والذي وضح لنا بالأدلة القوية أن من خصائص النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - جواز الخلوة بالأجنبية والنظر إليها، وهو الجواب الصحيح عن قصة أم حرام بنت ملحان في دخوله عليها ونومه عندها وتفليتها رأسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية»[61].

قال أبو عمر قال ابن وَهْبٍ أُمُّ حَرَامٍ إِحْدَى خَالَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَلِذَلِكَ كَانَ يَقِيلُ عِنْدَهَا وَيَنَامُ فِي حَجْرِهَا وَتَفْلِي رَأْسَهُ

قَالَ أَبُو عُمَرَ لَوْلَا أَنَّهَا كَانَتْ مِنْهُ ذَاتَ مَحْرَمٍ مَا زَارَهَا وَلَا قَامَ عِنْدَهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ من حديث عمر وابن عَبَّاسٍ لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مِنْهُ ذَاتَ مَحْرَمٍ)) عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْصُومٌ لَيْسَ كَغَيْرِهِ وَلَا يُقَاسُ بِهِ سِوَاهُ

قَالَ النَّوَوِيُّ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مَحْرَمًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاخْتَلَفُوا في كيفية ذلك فقال ابن عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ كَانَتْ إِحْدَى خَالَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرَّضَاعَة

ورجح الإمام النووي أنها كانت من محارمه[62]

2:- حديث من عادى لي وليا.....

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، نا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْمُزَكِّي إِمْلَاءً، نا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، نا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ، نا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " [63]

فِي هَذَا الحَدِيث إشكالات سَبْعَة: أَحدهَا: أَن يُقَال: كَيفَ يعادي الْإِنْسَان الْأَوْلِيَاء والأولياء قد تركُوا الدُّنْيَا وانفردوا عَن الْخلق، فَإِن جهل عَلَيْهِم جَاهِل حلموا، والعداوة إِنَّمَا تكون عَن خُصُومَة؟

والإشكال الثَّانِي: قَوْله: ((فقد آذنته بِالْحَرْبِ)) وَكَيف يتَصَوَّر الْحَرْب بَين الْخَالِق والمخلوق؟ والمحارب مناظر وَهَذَا الْمَخْلُوق فِي أسر قَبْضَة الْخَالِق. والإشكال الثَّالِث: ((وَمَا تقرب إِلَيّ عَبدِي بِشَيْء أحب إِلَيّ مِمَّا افترضت عَلَيْهِ)) وَالْعَادَة قد جرت بِأَن التَّقَرُّب يكون بِمَا لَا يجب كالهدايا إِلَى الْمُلُوك دون أَدَاء الْخراج، فَإِن مؤدي اللَّازِم لَا يكَاد يحمد، وَإِنَّمَا يشْكر من فعل مَا لَا

---

[61] فتح الباري لابنحجر (9/ 203)

[62] [شرح صحيح الإمام مسلم (حديث 2332)]

[63] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ 1029

يجب. وَالرَّابِع: أَن يُقَال: فَإِذا كَانَت الْفَرَائِض أفضل القربات، فَكيف أثمرت النَّوَافِل الْمحبَّة وَلم تثمرها الْفَرَائِض؟ وَالْخَامِس: قَوْله: ((كنت سَمعه وبصره وَيَده)) فَمَا صُورَة هَذَا؟ وَالسَّادِس: قَوْله: ((وَلَئِن سَأَلَني لأعطينه)) وَكم قد رَأينَا من عَابِد وَصَالح يَدْعُو ويبالغ وَلَا يرى إِجَابَة.
وَالسَّابِع: قَوْله: ((وَمَا ترددت عَن شَيْء)) والتردد إِنَّمَا يَقع إِذا أشكلت الْمصلحَة فِي العواقب، وَذَلِكَ ينشأ عَن ضعف التَّدْبِير، وَالْحق عز وَجل منزه عَن ذَلِك.
وَالْجَوَاب: أما الْإِشْكَال الأول: فَإِن معاداة الْأَوْلِيَاء يَقع من أَرْبَعَة أوجه: أَحدهَا: أَن يعاديهم الْإِنْسَان عصبية لغَيرهم، كَمَا يعادي الرافضي أَبَا بكر وَعمر./وَالثَّانِي: مُخَالفَة لمذهبهم كَمَا يعادي أهل الْبدع أَحْمد ابْن حَنْبَل./وَالثَّالِث: احتقارا لَهُم، فَيكون الْفِعْل بهم فعل الْأَعْدَاء، كَمَا كَانَ بعض الْجُهَّال يحصب أويسا الْقَرنِي./وَالرَّابِع: أَنه قد يكون بَين الْوَلِيّ وَبَين النَّاس معاملات وخصومات وَلَيْسَ كل الْأَوْلِيَاء ينفردون فِي الزوايا، فَرب ولي فِي السُّوق.
وَأما الْإِشْكَال الثَّانِي: فَإِن الْإِنْسَان إِنَّمَا خُوطِبَ بِمَا يعقل، وَنِهَايَة الْعَدَاوَة الْحَرْب، ومحاربة الله عز وَجل للْإِنْسَان أَن يهلكه، وَتَقْدِير الْكَلَام: فقد تعرض لإهلاكي إِيَّاه.
وَأما الْإِشْكَال الثَّالِث: فَإِن فِي أَدَاء الْوَاجِبَات احتراما لِلْأَمْرِ وتعظيما لِلْأَمْرِ، وَبِذَلِك الإنقياد تظهر عَظمَة الربوبية، وَيبين ذل الْعُبُودِيَّة.
وَأما الرَّابِع: فَإِنَّهُ لما أدّى الْمُؤمن جَمِيع الْوَاجِبَات ثمَّ زَاد بالتنفل وَقعت الْمحبَّة لقصد التَّقَرُّب، لِأَن مؤدي الْفَرْض رُبمَا فعله خوفًا من الْعقَاب، والمتقرب بالنفل لَا يَفْعَله إِلَّا إيثارا للْخدمَة والقرب، فيثمر لَهُ ذَلِك مَقْصُوده.
وَأما الْخَامِس: فَإِن قَوْله: ((كنت سَمعه وبصره)) مثل، وَله أَرْبَعَة أوجه: أَحدهمَا: كنت كسمعه وبصره فِي إيثاره أَمْرِي، فَهُوَ يحب طَاعَتي ويؤثر خدمتي كَمَا يحب هَذِه الْجَوَارِح. وَالثَّانِي: أَن كليته مَشْغُولَة، فَلَا يصغي بسمعه إِلَّا إِلَى مَا يرضيني، وَلَا يبصر إِلَّا عَن أَمْرِي. وَالثَّالِث: أَن الْمَعْنى أَنِّي أحصل لَهُ مقاصده كَمَا يَنَالهُ بسمعه وبصره. وَالرَّابِع: كنت لَهُ فِي العون والنصرة كبصره وَيَده اللَّذين يعاونانه على عدوه
وَأما السَّادِس: فَإِنَّهُ مَا سُئِلَ ولي قطّ إِلَّا وَأجِيب، وَإِلَّا أَنه قد تُؤخر الْإِجَابَة لمصْلحَة، وَقد يسْأَل مَا يظنّ فِيهِ مصلحَة وَلَا يكون فِيهِ مصلحَة فيعوض سواهُ.
وَأما السَّابِع فَجَوَابه من وَجْهَيْن: أَحدهمَا: أَن يكون التَّرَدُّد للْمَلَائِكَة الَّذين يقبضون الْأَرْوَاح، فأضافه الْحق عز وَجل إِلَى نَفسه لِأَن ترددهم عَن أمره، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا نَتَنَزَّل إِلَّا بِأَمْر رَبك} [64] وَترَدد الْمَلَائِكَة إِنَّمَا يكون لإِظْهَار كَرَامَة الْآدَمِيّ كَمَا ترَدد ملك الْمَوْت إِلَى آدم وَإِبْرَاهِيم ومُوسَى وَنَبينَا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَأَما أَن يكون التَّرَدُّد لله فمحال فِي حَقه، وَهَذَا مَذْهَب الْخطابِيّ. فَإِن اعْترض على هَذَا فَقيل: مَتى أَمر الْملك بِقَبض الرّوح لم يجز لَهُ التَّرَدُّد فَكيف يتَرَدَّد؟ فَالْجَوَاب من وَجْهَيْن: أَحدهمَا: أَن يكون إِنَّمَا ترَدد فِيمَا لم يجْزم لَهُ فِيهِ على وَقت، كَمَا رُوِيَ: ((أَنه لما بعث ملك الْمَوْت إِلَى الْخَلِيل قيل لَهُ: تلطف بعبدي)) . وَالثَّانِي: أَن يكون ترَدد رقة ولطف بِالْمُؤمنِ، لَا أَنه يُؤَخر الْقَبْض، فَإِنَّهُ إِذا نظر إِلَى قدر الْمُؤمن من احترمه فَلم تنبسط يَده لقبض روحه، وَإِذا ذكر أَمر الْإِلَه لم يكن لَهُ يَد فِي امتثاله.

---

[64][مَرْيَم: 64]

وَالثَّانِي: أَنه خطاب لنا بِمَا نعقل، وَقد تنزه الرب عز وَجل عَن حَقِيقَته كَمَا قَالَ: ((من أَتَانِي يمشي أَتَيْته هرولة)) فَكَمَا أَن أَحَدنَا يتَرَدَّد فِي ضرب وَلَده فيأمره التَّأْدِيب بضربه وتمنعه الْمحبَّة، فَإِذا أخبر بالتردد فهمنا قُوَّة محبته لَهُ بِخِلَاف عَبده فَإِنَّهُ لَا يتَرَدَّد فِي ضربه، فَأُرِيد تفهيمنا تَحْقِيق الْمحبَّة لْلوَلِيّ بِذكر التَّرَدُّد. وَمن الْجَائِز أَن يكون تركيب الْوَلِيّ يحْتَمل خمسين سنة، فيدعو عِنْد الْمَرَض فيعافى ويقوى تركيبه فيعيش عشْرين أُخْرَى، فتغيير التَّرْكِيب والمكتوب من الْأَجَل كالتردد،

3:- حديث تمرات عجوة

حدثنا علي، حدثنا مروان، أخبرنا هاشم، أخبرنا عامر بن سعد، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من اصطبح كل يوم تمرات عجوة، لم يضره سم، ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل» وقال غيره: «سبع تمرات»[65]

هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ

قوْله: «منْ تصبّح»، أَي: أكل صباحًا قبل أَن يطعم شيْئًا، وَكَونهَا نافعة من السمِّ وَالسحر، قِيل: إِنّما هُو من طَرِيق التَّبَرُّك بدعوة سبقت من النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ورُوِي بِإِسْنَاد غَرِيب عنْ أبِي سَلمَة، عنْ أبِي هُرَيْرة، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العجْوةُ مِن الجنَّةِ فِيها شِفاءٌ مِنَ السُّمِّ، والكمْأةُ مِن المنِّ، وماؤُها شِفَاءٌ لِلْعيْنِ».[66]

وردت أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ألفاظ مطلقة وفيها ألفاظ أنه من تمر العجوة، وجاء من ذلك قوله: (من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سحر) فهو وقاية، وهذا يدل على أن هناك أموراً تتخذ للوقاية من الأمراض ومن الأشياء التي تحصل في المستقبل، وكلها بمشيئة الله وإرادته، والله تعالى قدر الأسباب وقدر المسببات، فهذا يدلنا على أن تعاطي مثل هذه التمرات صباح كل يوم فيه وقاية من ذلك الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو السحر، وفيه أيضاً دليل على أن التطعيم والتلقيح ضد أمراض مستقبلة أو أمراض يخشى منها في المستقبل سائغ وأنه لا بأس به، وهذا الحديث يدل عليه؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سحر)[67] يعني: بتناوله تلك التمرات.

ثم إن الحديث ورد في العجوة، لكن الإنسان إذا لم يتمكن من ذلك وأكل من تمرات بناء على ما جاء في بعض الأحاديث المطلقة، فيرجى إن شاء الله أن يكون في ذلك الفائدة .

---

[65](بخاري) 5768

[66]شرح صحيح البخاري ج: 9 ، ص: 413

[67] بخاري 5779

4 :- حديث إذا وقع الذباب

حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال، قال: حدثني عتبة بن مسلم، قال: أخبرني عبيد بن حنين، قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه، يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء»[68]

قَال أهل الرأي:- حَدِيثٌ يُكَذِّبُهُ النَّظَرُ- إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي الْإِنَاءِ:

قَالُوا: رُوِّينُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَامْقُلُوهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ سُمًّا، وَفِي الْآخَرِ شِفَاءً)[69]، وَأَنَّهُ يُقَدِّمُ السُّمَّ، وَيُؤَخِّرُ الشِّفَاءَ"

قَالُوا: كَيْفَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، سُمٌّ وَشِفَاءٌ؟

وَكَيْفَ يَعْلَمُ الذُّبَابُ بِمَوْضِعِ السُّمِّ، فَيُقَدِّمُهُ، وَبِمَوْضِعِ الشِّفَاءِ فَيُؤَخِّرُهُ؟

وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ أَيْضًا بِغَيْرِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ.

حَدثنَا أَبُو الْخطاب: حَدثنَا أَبُو عَتَّابٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنِي ثُمَامَةُ قَالَ: وَقَعَ ذُبَابٌ فِي إِنَاءٍ، فَقَالَ أَنَسٌ2 بِأُصْبُعِهِ، فَغَمَزَهُ فِي الْمَاءِ، وَقَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ"، فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا وَقَالَ إِنَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَقَالَ: "فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ سُمٌّ، وَفِي الْآخَرِ شِفَاءٌ .

وَنَقُولُ: إِنَّ مَنْ حَمَلَ أَمْرَ الدِّينِ عَلَى مَا شَاهَدَ، فَجَعَلَ الْبَهِيمَةَ لَا تَقُولُ، وَالطَّائِرَ لَا يُسَبِّحُ، وَالْبُقْعَةَ مِنْ بِقَاعِ الْأَرْضِ لَا تَشْكُو إِلَى أُخْتِهَا، وَالذُّبَابَ لَا يَعْلَمُ مَوْضِعَ السُّمِّ وَمَوْضِعَ الشِّفَاءِ، وَاعْتَرَضَ عَلَى مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، مِمَّا لَا يَفْهَمُهُ، فَقَالَ: "كَيْفَ يَكُونُ قِيرَاطٌ مثل أحد؟ "

شبهات حول هذا الحديث

الأول : أن إخراج البخاري للحديث لا يمنع من التماس علة في رجاله تمنع من صحته، وهذه العلة - كما زعموا - هي كونه من رواية أبي هريرة وقد ردوا له أحاديث كثيرة ، وكذلك انفراد ابن حنين به ، وقد تكلم فيه من وجوه عدة.

الثاني : أنه حديث آحاد يفيد الظن ، فلا إشكال في رده ، وهو غريب عن التشريع لأنه ينافي قاعدة تحريم الضار ، واجتناب النجاسة ، وغريب عن الرأي لأنه يفرق بين جناحي الذباب ، فيدعي أن أحدهما به سم ضار ، والآخر ترياق نافع.

الثالث : أن العلم يثبت بطلانه لأنه يقطع بمضار الذباب.

الرابع : أن موضوع متنه ليس من عقائد الإسلام ولا من عباداته ، ولا من شرائعه ، ولا التزم المسلمون العمل به ، بل لم يعمل به أحد منهم لأنه لا دخل له في التشريع ، وإنما هو في أمور الدنيا كحديث " تأبير النخل " ، وبالتالي من ارتاب فيه لم يضع من دينه شيئاً.

---

[68] بخاري 3320
[69] بخاري 5782

أما ما يتعلق بالشبهة الأولى فإن البخاري رحمه الله لم ينفرد بإخراج هذا الحديث ، كما أن أبا هريرة لم ينفرد بروايته عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكذلك عبيد ابن حنين لم ينفرد بروايته عن أبي هريرة.

فالحديث أخرجه البخاري و أبو داود و ابن ماجه ، و الدارمي و البيهقي ، و ابن خزيمة ، و أحمد ، و ابن حبان ، و البغوي و ابن الجارود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه النسائي ، و ابن ماجه ، و البيهقي ، و أحمد ، و ابن حبان ، و البغوي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

كما أخرجه البزار و الطبراني من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ورواه عن أبي هريرة جماعة من التابعين ، وهم عبيد بن حنين ، و سعيد المقبري ، و ثمامة بن عبد الله بن أنس ، و أبو صالح ، و محمد بن سيرين .

ولو لم يرد هذا الحديث إلا في صحيح البخاري ، لكان ذلك كافياً للحكم عليه بالصحة لما علم من إجماع الأمة على تلقي أحاديثه بالقبول ، ولم يستدرك هذا الحديث على البخاري أحد من أئمة الحديث ، ولم يقدح في سنده أي منهم ، بل هو عندهم مما جاء على شرط البخاري في أعلى درجات الصحة.
وحتى لو تفرد به أبو هريرة لما كان لطعنهم فيه من سبيل وحجة ، لما ثبت من حجيته وجلالته وحفظه ، ويمكن مراجعة ما كُتب حول هذا الصحابي الجليل في موضوع سابق بعنوان (أبو هريرة الصحابي المفترى عليه).

وأما عبيد بن حنين فهو ثقة لا مطعن فيه ، ولم يذكره الحافظ في مقدمة الفتح فيمن تُكُلِّم فيهم من رجال البخاري ، وحتى لو فرض أنه تفرد برواية الحديث عن أبي هريرة لقبل تفرده لأن تفرد مثله لا يقدح في صحة الحديث.

وأما كونه من أخبار الآحاد ، فإن الأدلة شاهدة من كتاب الله ، وحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - وأقوال السلف ، بل وإجماعهم - كما نقله غير
واحدكالشافعي و النووي و الآمدي وغيرهم - على الاحتجاج بحديث الآحاد ، وقبول الاستدلال به في العقائد والعبادات على حد سواء ، وهي أدلة كثيرة لا تحصى ، وليس هذا مجال سردها ، وقد سبق الكلام عنها في مواضيع مستقلة بعنوان (حجية خبر الآحاد ، والشبهات حوله) (حديث الآحاد حجة في العقائد والأحكام) يمكن للقارئ الكريم الرجوع إليها ، ففيها الكلام مستوفى.

وأما الادعاء بأنه غريب عن التشريع لأنه ينافي قاعدة تحريم الضار واجتناب النجاسة ، فيرده بأن الحديث لم ينف ضرر الذباب بل أثبت ذلك حيث ذكر أن في أحد جناحيه داء ، ولكنه زاد ببيان أن في الآخر شفاء ، وأن ذلك الضرر يزول إذا غمس الذباب كله.

قال ابن القيم رحمه الله : واعلم أن في الذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم ، والحكة العارضة عن لسعه ، وهي بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه ، اتقاه بسلاحه ، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم- أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله سبحانه في جناحه الآخر من الشفاء ، فيغمس كله في الماء والطعام ، فيقابل المادة السمية المادة النافعة ، فيزول ضررها ، وهذا طب لا يهتدي إليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة ، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ، ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق ، وأنه مؤيد بوحي إلهي خارج عن القوة البشرية[70]. "

والقول بنجاسة الذباب لا دليل عليه ، لأنه لا ملازمة بين الضرر والنجاسة ، ولذا كان هذا الحديث من أدلة العلماء على أن الماء القليل لا ينجس بموت ما لا نفس له سائلة فيه ، فالحديث لم يفَصِّل بين موت الذباب وحياته عند غمسه.

قال الإمام الخطابي رحمه الله في معالم السنن (5/340- 341) : " فيه من الفقه أن أجسام الحيوان طاهرة إلا ما دلت عليه السنة من الكلب وما ألحق به ، وفيه دليل على أن ما لا نفس له سائلة إذا مات في الماء القليل لم ينجسه ، وذلك أن غمس الذباب في الإناء قد يأتي عليه ، فلو كان نجسه إذا مات فيه لم يأمر بذلك ، لما فيه من تنجس الطعام وتضييع المال ، وهذا قول عامة العلماء " .أهـ

و"كَيفَ يتَكَلَّم بَيت الْمُقَدّس؟ " و"كَيفَ يَأْكُلُ الشَّيْطَانُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ؟ " و"أَي شمال لَهُ؟ " و"كَيفَ لَقِيَ آدَمُ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ، حَتَّى تَنَازَعَا فِي الْقدر، وَبَينهمَا أحقاب؟ " و"وَأَيْنَ تَنَازَعَا؟ 1" فَإِنَّهُ مُنْسَلِخٌ مِنَ الْإِسْلَامِ، مُعَطِّلٌ غَيْرَ أَنَّهُ يَسْتَعِدُّ2 بِمِثْلِ هَذَا وَشِبْهِهِ، مِنَ الْقَوْلِ وَاللَّغْوِ وَالْجِدَالِ، وَدَفْعِ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ -مُخَالِفٌ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِمَا دَرَجَ عَلَيْهِ الْخِيَارُ مِنْ صَحَابَتِهِ وَالتَّابِعُونَ.
وَمَنْ كَذَّبَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ كَمَنْ كَذَّبَ بِهِ كُلِّهِ.
وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِلَ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى دِينٍ لَا يُؤْمِنُ فِيهِ بِهَذَا وَأَشْبَاهِهِ، لَمْ يَجِدْ مُنْتَقَلًا؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالصَّابِئِينَ وَالْوَثَنِيَّةَ، يُؤْمِنُونَ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَيَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ.
وَمَا عَلِمْتُ أَحَدًا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا قوم مِنَ الدَّهْرِيَّةِ، وَقَدِ اتَّبَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْجَهْمِيَّةِ.
"وَبَعْدُ" فَمَا3 يُنْكَرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الذُّبَابِ سُمٌّ وَشِفَاءٌ، إِذَا نَحْنُ تَرَكْنَا طَرِيقَ الدِّيَانَةِ، وَرَجَعْنَا4 إِلَى الْفَلْسَفَةِ؟
وَهَلِ الذُّبَابُ فِي ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْحَيَّةِ؟ فَإِنَّ الْأَطِبَّاءَ يَذْكُرُونَ أَنَّ لَحْمَهَا شِفَاءٌ مِنْ سُمِّهَا، إِذَا عُمِلَ مِنْهُ التِّرْيَاقُ الْأَكْبَرُ، وَنَافِعٌ مِنْ لَدْغِ الْعَقَارِبِ وَعَضِّ الْكِلَابِ الْكَلِبَةِ، وَالْحُمَّى الرِّبْعِ5، وَالْفَالِجِ وَاللَّقْوَةِ6، وَالِارْتِعَاشِ وَالصَّرَعِ.

---

[70] زاد المعاد (4/112)

5 :- قصة موسى

حدثنا محمود، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: " أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه وقال: ارجع، فقل له: يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر "، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلو كنت ثم لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر»[71]

هذا الحديث رده بعض المعتزلة لشبهة عندهم.
أولاً: أنه لا يوافق العقل، ملك الموت وبشر يلطمه ثم لا يقتص منه حينئذٍ يقولون: إذا كان موسى علم أنه ملك الموت فلطمه استخف به، وهذا باطل، وإذا فقأ عينه ولم يعلم لا بد من القصاص ولم يقتص منه، إذًا قالوا: حديث ضعيف. مع كونه في صحيح البخاري، لكن المعتزلة كلهم من أولهم إلى آخرهم لا يعول عليهم في هذا الباب، ولذلك اختلف في تكفيرهم وأكثر أهل السنة على أنهم كفار لأنهم لا يحكمون الشرع وإنما دينهم مأخوذ من العقل فما رآه العقل مقدم وما لم يره العقل ولو جاء في القرآن والسنة ولو أجمع عليه سلف الأمة ولو أجمع عليه الصحابة ولو جاء النص صريحًا في القرآن أو صريحًا في السنة لا يقبل،
وقَالُوا:إن هذا حَدِيثٌ يُكَذِّبُهُ النَّظَرُ
قالوا: أن ملك الموت أُرسل إلى موسى ليقبض روحه في الحال حتى يكون هذا التأخر لموت موسى مناقض للقرآن. وإنما هذه بعض فضائح من اسْتهان بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة
الجواب : نَحن نَقُولُ: إنَّ هَذَا الْحَدِيثَ حَسَنُ الطَّرِيقِ عِنْدَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَأَحْسَبُ لَهُ أصلا فِي الْأَخْبَارِ الْقَدِيمَةِ، وَلَهُ تَأْوِيلٌ صَحِيح لَا يَدْفَعهُ النّظر.

أن هذا الحديث صحيح فقطعاً لايعارض القرآن فليس في الحديث أن ملك الموت مأمور بقبض روح موسى بنفس الوقت.

وأن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذٍ، وهذا معلوم، هذا واضح لماذا؟ لأنه لو بعث وأرسل من أجل قبض روح موسى عليه السلام لما تأخر طرفة عين، لأن الأجل إذا جاء استوى فيه الأنبياء وغيرهم من الناس لا يستقدمون ساعةً ولا يستأخرون، فلو كان كذلك لما تأخر هذه المدة، وإنما بعثه إليه اختبارًا، يعني: امتحانًا واختبارًا، وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدميًّا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، بمعنى أن ملك الموت لم يأتي في صورته الحقيقية، وإنما تمثل لموسى على صورة آدمي إنسان حينئذٍ رآه في بيته دون

[71] بخاري 1339

أن يستأذن منه فلطمه، هكذا قال ابن خزيمة رحمه الله تعالى، لأنه رأى آدميًّا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقأ عين الناظر في دار المسلم بغير إذنٍ، يعني: الشرع شرع محمد - صلى الله عليه وسلم - وشرع موسى متحد في هذه المسألة حينئذٍ لطمه على عينه ففقأها لأنه دخل دون إذن كما هو الشأن في شريعتنا، إذًا أولاً لم يأتي في صورته الحقيقية وإنما جاء في سورة إنسان.

ولذلك قال النووي رحمه الله تعالى لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة ولو كان ملكًا، ولو رآه على حقيقته وصورته الملكية امتحانًا للملطوم، وعلى كلٍّ هذا أو ذاك نقول: الله أعلم، لأن مستند هذه القصة أمر الغيب نثبت ما دل عليه النص من لطم موسى لملك الموت ثم نكف عن ما يتعلق بهذه القصة من الأمور التي تكون مع مجرياتها فيما لم يذكره النبي - صلى الله عليه وسلم –

6 :- سترون ربكم

حدثنا الحميدي، قال: حدثنا مروان بن معاوية، قال: حدثنا إسماعيل، عن قيس، عن جرير بن عبد الله، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال: «إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ: {وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب} [72]، قال إسماعيل: «افعلوا لا تفوتنكم»

هذا الحديث نص في ثبوت رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، كما دل على ذلك قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ*إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [73]، ومفهوم قوله في حق الكفار: {كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [74].

قال الشافعي وغيره: لما حجب أعداءه في السخط دل على أن أولياءه يرونه في الرضا.

والأحاديث في ذلك كثيرة جداً، وقد ذكر البخاري بعضها في أواخر " الصحيح" في ... " كتاب التوحيد"، وقد أجمع على ذلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من الإئمة وأتباعهم.

وإنما خالف فيه طوائف أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ونحوهم ممن يرد النصوص الصحيحة لخيالات فاسدة وشبهات باطلة، يخيلها لهم الشيطان، فيسرعون إلى قبولها منه، ويوهمهم أن هذه النصوص الصحيحة تستلزم باطلاً، ويسميه تشبيها أو تجسيما، فينفرون منه،

فقالوا: إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة،

وتلوا آية من المتشابه من قول الله جل ثناؤه: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ} [75].

---

[72][ق: 39]
[73][القيامة: 22، 23]
[74][المطففين: 15]
[75][الأنعام: 103]

أما الْمُعْتَزلَة فقد ذكرُوا وُجُوهًا
الأول قَوْله تَعَالَى {لَا تُدْرِكهُ الْأَبْصَار} والرؤية إِدْرَاك فنفي الْإِدْرَاك يُوجب نفي الرُّؤْيَة
وَالثَّانِي وَهُوَ أَن الله تَعَالَى تمدح بِنَفْي الْإِدْرَاك وكل مَا عَدمه مدح كَانَ وجوده نقصا وَالنَّقْص على الله تَعَالَى محَال
وَالثَّالِث قَوْله تَعَالَى {لن تراني} وَلنْ نفيد التأبيد فَوَجَبَ أَن يُقَال إِن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام لَا يرى الله تَعَالَى الْبَتَّةَ وكل من قَالَ إِن مُوسَى لَا يرى الله تَعَالَى الْبَتَّةَ قَالَ إِن غَيره لَا يرَاهُ أَيْضا
وَالْمُخْتَار عندنَا أَن نقُول الدَّلَائِل السمعية دَالَّة على حُصُول الرُّؤْيَة وشبهات الْمُعْتَزلَة فِي امْتنَاع الرُّؤْيَة بَاطِلَة فَوَجَبَ علينا الْبَقَاء على تِلْكَ الظَّوَاهِر
أما بَيَان الدَّلَائِل السمعية فَمن وُجُوه.....
أَحدهَا قَوْله تَعَالَى {وُجُوه يَوْمئِذٍ ناضرة إِلَى رَبهَا ناظرة} فَنَقُول النّظر إِمَّا أَن يكون عبارَة عَن الرُّؤْيَة أَو عَن تقليب الحدقة نَحْو المرئي التماسا لرُؤْيَته
وَالْأول هُوَ الْمَقْصُود وَالثَّانِي يُوجب الِامْتِنَاع عَن إجرائه على ظَاهره لِأَن ذَلِك إِنَّمَا يَصح فِي المرئي الَّذِي يكون لَهُ جِهَة فَوَجَبَ حمله على لَازمه وَهُوَ الرُّؤْيَة لِأَن من لَوَازِم تقليب الحدقة إِلَى سمت جِهَة المرئي حُصُول الرُّؤْيَة وَإِطْلَاق اسْم السَّبَب لإِرَادَة الْمُسَبّب جَائِز وَقَوْلهمْ يضمر فِيهِ إِلَى ثَوَاب رَبهَا خطأ لِأَن زِيَادَة الْإِضْمَار من غير حَاجَة لَا يجوز
الثَّانِي قَوْله تَعَالَى {للَّذين أَحْسنُوا الْحسنى وَزِيَادَة} [76] نقل عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ الزِّيَادَة هِيَ النّظر إِلَى الله
وَالثَّالِث قَوْله تَعَالَى الَّذين يظنون أَنهم ملاقوا رَبهم وَقَوله تَعَالَى {أُولَئِكَ الَّذين كفرُوا بآيَات رَبهم ولقائه} [77] وَقَوله {فَمن كَانَ يَرْجُو لِقَاء ربه} وَقَوله {بل هم بلقاء رَبهم كافرون} [78]وَقَوله {تحيتهم يَوْم يلقونه} واللقاء عبارَة عَن الْوُصُول وَهَذَا فِي حق الله تَعَالَى محَال إِلَّا أَن من رأى شَيْئا فَكَانَ بَصَره لقِيه وَوصل إِلَيْهِ فَوَجَبَ حمل اللَّفْظ عَلَيْهِ
الرَّابِع قَوْله تَعَالَى كلا إِنَّهُم عَن ربيهم يَوْمئِذٍ لمحجوبون وَتَخْصِيص الْكفَّار بِهَذَا الْحجب يدل على أَن الْمُؤمنِينَ لَا يكونُونَ محجوبين
الْخَامِس قَوْله تَعَالَى {وَإِذا رَأَيْت ثمَّ رَأَيْت نعيما وملكا كَبِيرا}[79] وَالْملك الْكَبِير هُوَ الله تَعَالَى وَذَلِكَ يدل على أَنه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يرى ربه يَوْم الْقِيَامَة
السَّادِس قَوْله تَعَالَى حِكَايَة عَن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام {رب أَرِنِي أنظر إِلَيْك}[80] وَلَو كَانَت الرُّؤْيَة ممتنعة على الله تَعَالَى لَكَانَ مُوسَى جَاهِلا بِاللَّه تَعَالَى
السَّابِع قَوْله تَعَالَى {فَإِن اسْتَقر مَكَانَهُ فَسَوف تراني} [81]علق الرُّؤْيَة على اسْتِقْرَار الْجَبَل وَهَذَا الشَّرْط مُمكن وَالْمُعَلّق بالممكن مُمكن

---

[76] سورة يونس 26
[77] سورة الكهف 105
[78] سورة السجدة 10
[79] سورة الإنسان 20
[80] سورة الأعراف 143
[81] سورة الأعراف 143

2014

الثَّامِن قَوْله تَعَالَى {فَلَمَّا تجلى ربه للجبل} والتجلي هُوَ الرُّؤْيَة وَذَلِكَ لِأَن الله تَعَالَى خلق فِي الْجَبَل حَيَاة وسمعا وبصرا وعقلا وفهما وَخلق فِيهِ رُؤْيَة رأى الله بهَا

التَّاسِع قَوْله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا)[82] وَالْمَقْصُود من هَذَا التَّشْبِيه تَشْبِيه الرُّؤْيَة بِالرُّؤْيَةِ لَا تَشْبِيه المرئي بالمرئي

الْعَاشِر أَن الصَّحَابَة رَضِي الله عَنْهُم اخْتلفُوا فِي أَن مُحَمَّدًا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم رأى ربه أم لَا وَاخْتِلَافهمْ فِي الْوُقُوع يدل ظَاهرا على اتِّفَاقهم على الصِّحَّة

وَالْجَوَاب عَن التَّمَسُّك بقوله تَعَالَى {لَا تُدْرِكهُ الْأَبْصَار} من وَجْهَيْن

الأول أَن لفظ الْأَبْصَار صِيغَة جمع وَهِي تفِيد الْعُمُوم فسلبه يُفِيد سلب الْعُمُوم وَذَلِكَ لَا يُفِيد عُمُوم السَّلب لِأَن نقيض الْمُوجبَة الْكُلية هُوَ السالبة الْجُزْئِيَّة لَا السالبة الْكُلية

الثَّانِي إِن الْإِدْرَاك عبارَة عَن إبصار جوانبه وأطرافه وَهَذَا فِي حق الله تَعَالَى محَال وَنفي الإبصار الْخَاص لَا يُوجب نفي أصل الإبصار

قال الإمام أحمد رحمه الله فينظرون إلى الله لا إله إلا هو ،وإنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لاينظرون إلى ربهم ويحجبون عن الله، لأن الله قال للكفار: {كَلاَّ إِنَّهُم عَن رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} فإذا كان الكافر يحجب عن الله،والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر؟

والحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته، وجعلنا ممن اتبع، ولم يجعلنا ممن ابتدع، والحمد لله وحده

7:- الكلام حول السحر

إن في حديث سحر النبي قد أنكرته المعتزلة واحتارت فيه الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بين إثبات وإنكار واستخدمته النصرانية وسيلة للطعن في الدين والرسول والسنة المشرفة ، أما أهل السنة فأثبتوا الحديث وقالوا بأن هذا السحر الذي وقع للنبي لا يتعدى أن يكون مرضا من الأمراض وأنه بشر رسول، أما الحديث فهو ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

- حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: سحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو

[82] بخاري 4851

عندي، دعا الله ودعاه، ثم قال: «أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه» قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: " جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق، قال: فيما ذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان " قال: فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل، ثم رجع إلى عائشة فقال: «والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين» قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شرا» وأمر بها فدفنت[83]

وأخرجه البخاري رحمه الله أيضاً من حديث عروة عن عائشة قَالَتْ: فَقُلْتُ أَفَلَا أَيْ تَنَشَّرْتَ فَقَالَ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ شَرًّا[84].

وأخرجه البخاري رحمه الله أيضاً من حديث عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قُلْتُيَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ قَالَ لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللَّهُ وَشَفَانِي وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ[85].

وهذا الحديث صحيح ثابت سندا ومتنا بل هو في أعلى درجات الصحة بعد القرآن الكريم حيث اتفق على روايته الإمامان الجليلان البخاري ومسلم، وما حاوله المبتدعة من الطعن في صحة هذا الحديث بشبههم الواهية فنذكرها هنا بتمامها.

السحر في اللغة: كل ما خفي ودق ولطف، ولذلك سمي السحر سحراً؛ لأنه خفيٌّ في آخر الليل.
وشرعاً: هو رُقى وعقد تحدث من المرء بالاستعانة بالشياطين، وجملة (بالاستعانة بالشياطين) مهمة جداً، ولذلك قال الله تعالى: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} [86]فإن الساحر يأخذ العقدة وينفث فيها فتلتقي روحه الخبيثة مع روح الشيطان، فيؤثران في المسحور بإذن الله: {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ} [87]
وحديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث عائشة، والأئمة على قبوله، وإنما طعن فيه بعض المتأخرين بما ليس من أوجه الطعن، وما وقع له صلى الله عليه وسلم من السحر لا ينافي مقام النبوة والرسالة.

وقد سحر النبي، - صلى الله عليه وسلم -، حقيقة سحره لبيد بن الأعصم اليهودي فجعل له العقد في جف طلع نخل ووضعه في بئر فأرسل الله ملكين يرقيان النبي، - صلى الله عليه وسلم - ،ويخبر انه بمن سحره كما أخبراه بموضع السحر وأمراه بالتعوذ بالله ونزل فيذلك سورتان قل

---

[83] بخاري 3268
[84]باب السحر تحت رقم 5765
[85]باب السحر تحت رقم 5766
[86][الفلق:4]
[87][البقرة:102].

أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فانحلت تلك العقد وبرئ عليه الصلاة والسلام كأنما نشط من عقال، فشرعت الاستعاذة بهاتين السورتين والرقية بهما لأمة محمد، - صلى الله عليه وسلم

لقد ثبت سحر النبي صلى الله عليه وسلم أثراً ونظراً، فأما من جهة الآثار: فالأحاديث التي أسانيدها كالشمس تؤكد ذلك، ففي الحديث المتفق عليه بين البخاري ومسلم (أن لبيد بن الأعصم اليهودي -عليه من الله ما يستحق- سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وألقى السحر في بئر ثروان)، وهذا الحديث صحيح بل هو في أعلى درجات الصحة.

وفي بعض الروايات: (أن ملكين جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام الأول عند رأسه والآخر عند رجله، فقال أحدهم: ما بال الرجل؟ قال الآخر: مطبوب -يعني مسحور-، قال: من سحره أو طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم)، ثم ذكروا كيف شفاء النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذه الآثار تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد سحر، ولذلك قالت عائشة: (كان يخيل للنبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي أهله ولا يأتيهم، وأنه فعل الشيء ولم يكن فعله)، وهذه الشبهة هي التي تعلق بها المفترون كما سنبين، والغرض المقصود هو أنه قد صحت الأخبار على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد سحر وابتلي بالسحر بإذن الله جل في علاه.

إن العقل السديد لا بد أن يوافق هذا ولا يمكن أن يرده، ولا غرو ولا عجب أن النبي صلى الله عليه وسلم يسحر ويبتلى بهذا البلاء العظيم، والعقل يقبله؛ لأن رسول الله خلق من ماء مهين، ولذلك قال: (ولدت من نكاح وليس من سفاح) بأبي هو وأمي، فرسول الله صلى الله عليه وسلم بشر، وإذا قلت بأنه بشر فهي مقدمة لها نتيجة لا أحد يعترض عليها.

شبهات مهمة

الأولى : أن هذا الحديث يصدق قول المشركين الذين إتهموا النبي ص بأنه رجل مسحور قال تعالى :أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلا مَّسْحُورًا[88]

الثانية : عدم جواز سحر النبي ص عقلاً،لأن وقوع السحر عليه يزيل الثقة بالنبي ص وبما جاء به فإن جاز أن يسحر وأن يُخيل إليه أنه يفعل الأمر – وهو لم يفعله – أمكن أن يُخيل إليه أنه أوحي إليه وهو لم يوح إليه، أو إنه بلغ ما أُوحي إليه، وهو لم يبلغه.

الثالثة :أن السحر من عمل الشياطين، وهؤلاء لا يتسلطون إلا على ضعاف الإيمان من غفل عن ذكر الله.

والجواب عنها:

أولاً : أن قول الكافرين والظالمين عن محمد ص والأنبياء من قبله أنهم بشر وأنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وأنهم فقراء وأنهم أكثر منهم أموالاً وأولادا وأنهم سحرة بل قالوا أن الذي خلق السموات والأرض هو الله فهل نكذبهم في هذا ؟ اللهم لا ، فمجرد قولهم أنه مسحور يناقض قولهم أنه ساحر ،فما أرادوا بقولهم هذا إلا أن يشككوا في الوحي وقد ثبت عند المسلمين كافة أن

---

[88]الفرقان: ٨

الله تعالى قد عصم كتابه العزيز من التغيير والتحريف والتبديل قال تعالى :إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[89]. فبطل قولكم بوجوب تكذيب قول الكافرين بأنه مسحور.

ثانياً : أما قولكم أن سحر النبي – يؤدي إلى إنتفاء العصمة – فنقول ما هو الدليل على أن وقوع السحر على المسحور ينافي العصمة؟

هل لديك دليل على وقوع تبديل أو تغيير في الوحي لما وقعت حادثة سحر النبي؟ والدليل قد قام على عصمته بصريح القرآن وصحيح السنة النبوية.

ما الدليل على تعارض السحر مع ما ثبت عن حفظ الله لوحيه المنزل على رسول الله؟
فلما كنتم بلا دليل – سقطت حجتكم.

ثالثاً : أما قولكم -أن السحر من عمل الشيطان وهو لا يتسلط إلا على الضعفاء من العباد والأنبياء معصومون منه- ، فهذا يناقض صريح القرآن بأن الأنبياء بشر يسري عليهم ما يسري على غيرهم، ولنقرأ ما قاله موسى عليه السلام كما قال تعالى :قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا[90] . بل وقد خاف موسى عليه السلام كما قال تعالى: قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى - فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى [91]. ، وأيضاً تسلط الشيطان على آدم وزوجه في الجنة كما قال تعالى : فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ [92] بل لقد قتل موسى ص رجل بوسوسة الشيطان كما قال تعالى : دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ [93] . وعلى أيوب عليه السلام اقرأ ما قاله الله تعالى في كتابه العزيز: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ [94] فهل تنكر نبوة موسى وأيوب وآدم عليهم السلام ؟ وهل انتفت عصمتهم عليهم السلام بهذا ؟

---

[89] الحجر: ٩
[90] الكهف: ٦٣
[91] طه: ٦٦ - ٦٧
[92] البقرة: ٣٦
[93] القصص: ١٥
[94] ص: ٤١

ونقول لك ما قاله الله تعالى عن الشيطان - حتى لا توسوس إليك نفسك – فاقرأ قوله تعالى : إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا[95] ، وعلاج الأمر كما قال تعالى :وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[96]

أما إغواء الشيطان فيكون في أمور الدنيا كما في قوله تعالى: قال تعالى :قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ[97] ، فما يقع للأنبياء والصالحين من عباد الله فهو من باب الابتلاء ورفع الدرجات ،أما أمور الوحي والتبليغ وما هو من الفسق وخوارم المروءة فهم المعصومون بحفظ الله –عز وجل – لهم.

وقد أجمع علماء المسلمين قاطبة ولم يخالف منهم في هذا إلا - المعتزلة وبعض الشيعة الإمامية – على وقوع السحر للنبي ص ونحن نعرض لكم أقوالهم عسى الله أن يهدينا وإياكم الى الخير بإذنه:

وقالوا: إن هذا يقدح في رسالته، وهذا الاعتراض اعترض به أهل البدع والضلالة كالمعتزلة، ثم قالوا: حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم باطل لأمرين اثنين: الأمر الأول: هو أننا لو قلنا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سحر فقد قدحنا في رسالته ونبوته؛ لأن الله جل وعلا كتب في كتابه أنه عصم رسوله، وإذا كان لبيد بن الأعصم الكافر يسلط على رسول الله إذا فهو غير معصوم، ولو قلنا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير معصوم كذبنا القرآن؛ لقول الله: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [98]
الأمر الثاني: قالوا: إذا فتحنا هذا الباب وقلنا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر إذاً فكل حديث يأتينا فسنقول عنه ليس من النبي وإنما من تسليط الجن عليه، فلعل الجني غلب على عقل النبي صلى الله عليه وسلم فأوحى إليه هذا الكلام، ففتحنا الباب لكل أحد ليطعن ويرد حديث النبي.
هذا قول أهل البدعة والضلالة من المعتزلة وبعض المنتسبين إلى أهل السنة والجماعة، وأما المتصدي لهؤلاء الأشرار المبتدعة الذين يردون أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بلا مبرر ولا داعي، -والذي أعلمه- أن الفضائيات قاطبة تكلمت على هذه المسألة وردوا الحديث بدون علم
وقالوا: لا يصح أن نقول سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وذكروا هذه الشبه.
السحر نوعان: سحر يكون بالاستعانة بالشياطين، وهذا فيه خوارق عادات مذهلة لا يستطيع أحد أن يتصورها، وفيها قلب للحقائق، وأبو حنيفة يرى أن السحر غير حقيقي وأنه تخييل فقط، والأئمة الثلاثة -وهذا الراجح الصحيح- يرون أن فيه قلباً للحقائق، وفيه تأثيراً حقيقياً؛ لأن الله

[95]النساء: ٧٦
[96]فصلت: ٣٦
[97]الحجر: ٣٩ - ٤٠
[98][المائدة:67].

أثبت له التأثير، قال تعالى: {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ} [99]، فمعنى ذلك أنهم يضرون لكن بإذن الله جل في علاه.
هذه التقسيمات مهمة جداً؛ لأننا بهذا التأصيل سنبين حكم السحر وحكم الساحر.
النوع الثاني من السحر هو استخدام العقاقير الطبية والأدوية، وسحر الأعين وخفة اليد.
والأغلظ هو النوع الأول؛ لأن فيه استخداماً للشيطان، ولا يمكن استخدام الشيطان والتمتع به إلا بعد أن تقدم له القرابين.
وأما النوع الثاني فلا يتعلق بالشياطين، وإنما يتعلق بخفة اليد وسحر الأعين، كما قال الله تعالى حكاية عن موسى أنه قال لهم: {قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [100] يعني: سحراً عظيماً من التخييل الذي أصبح حقيقة في أعين الناس.
والنوع الثاني مشهور جداً في عصرنا هذا، وهو ما يسمى بعالم السرك، والرعاع والهمج يضيعون أوقاتهم أمام هؤلاء السفهاء ويقفون في ساحة السرك في سهرة نادٍ خاص بهؤلاء السحرة، فيأتون فيه بخفة اليد وخفة الأفعال، ويضحكون على عقول الناس، ويستخفون بأعينهم.
وقال الإمام المازري :أهل السنة وجمهور العلماء من الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقائق غيره من الأشياء الثابتة، خلافا لمن أنكره ونفى حقيقته وأضاف ما يتفق منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها. وقد ذكر الله – سبحانه – في كتابه العزيز، وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما يشير إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق به بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن أن يكون فيما لا حقيقة له. وهذا الحديث أيضاً فيه إثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت وهذا كله يبطل ما قالوه[101]

وقال الإمام القرطبي : هذا الحديث يدل على أن السحر موجود، وأن له أثرا في المسحور. وقد دل على ذلك مواضعُ كثيرة من الكتاب والسّنة بحيث يحصل بذلك القطع بأن السحر حقٌ ؛ وأنه موجودُ، وأن الشرع قد أخبر بذلك، كقصة سحرة فرعون، وبقوله تعالى فيها قال تعالى :قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاؤُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ. و قال تعالى :قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى طه: ٦٦ وبالجملة : فهو أمر مقطوعٌ به بإخبار الله تعالى ورسوله ص عن وجوده، ووقوعه.

والسحر عند علمائنا : حيل صناعية يُتوصل إليها بالتعلم، والإكتساب ؛ غير أنها لخفائها ودقتها لا يتوصل إليها إلا أحاد الناس، فيندر وقوعها، وتستغرب أثارُها لندورها. ومادَّتُه الوقوف على خواصِ الأشياء، وبالعلم بوجوه تركيبها، وأزمان ذلك. وأكثره تخييلات لا حقيقة لها، وإيهامات لا ثبوت لها؛ فتعظم عند من لا يعرفها وتشتبه على من لا يقف عليها. ولذلك قال الله تعالى : يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى طه: ٦٦. مع أنه كان في عين الناظر إليه عظيماً. وعن ذلك عبر الله تعالى بقوله: فيها وَجَاؤُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ الأعراف: ١١٦. لأن الحبال والعصي لم تخرج عن حقيقتها وذلك بخلاف عصا موسى؛ فإنها إنقلبت ثعباناً مبيناً خرقاً للعادة، وإظهاراً للمعجزة.
ولا ينكر أن السحر له تأثير في القلوب بالحّب ، والبغض، وبإلقاء الشرور حتى يُفرق الساحرُ بين المرء وزوجه، ويحول بين المرء وقلبه، وبإدخال الآلام، وعظيم الأسقام؛ إذ كل ذلك مدرك

---

[99] [البقرة:102]
[100] [الأعراف:116]
[101] المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم – الجزء الخامس – صفحة 568 وما بعدها.

بالمشاهدة، وإنكارُه معاندةٌ[102]

وقال الكرماني :وقال أكثر الأمم من العرب، والروم، والهند، والعجم بأنه ثابت وحقيقته موجودة وله تأثير، ولا إستحالة في العقل في أن الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام معلق أو تركيب أجسام ونحوه على وجه لا يعرفه كل أحد[103]

وقال القسطلاني : والصحيح وهو الذي عليه الجمهور أن له حقيقة وعلى هذا فهل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعاً من الأمراض أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيواناً مثلا وعكسه، فالذي عليه الجمهور هو الأول.

ونقل هذا الإجماع ابن حجر عن النووي بقوله : قال النووي : والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة [104]
وقال ابن حجر : قال الراغب وغيره :السحر يطلق على معان : أحدها ما لطف ودق، ومنه سحرت الصبي خادعته واستملته، وكل من استمال شيئا فقد سحره، .. والثاني ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده.. والثالث ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم.. الرابع ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانيتها بزعمهم[105]

فأقول: نحن أثبتنا بالأثر والنظر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سحر؛ لأنه من البشر، ويعتريه ما يعتري البشر، فالشبهة الأولى التي قالوها: بأن الله عصم نبيه ولو قلتم بأنه سحر فليس بمعصوم، وهذا قدح تام وصريح وظاهر في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قلنا لهم: لا، بل هذا فيه دلالة على جهلكم وضعف نظركم وعدم التمييز بين المتشابه، وأنتم قد أُدخل عليكم من باب العصمة؛ لأنكم لم تفهموا العصمة فهماً دقيقاً لفهم العلماء الأسلاف الأكارم الأماجد.

---

[102]الكواكب الدراري شرح صحيح أبي عبد الله البخاري – باب السحر– الجزء الحادي والعشرون – صفحة 36.
[103]ارشاد الساري شرح صحيح البخاري – القسطلاني – الجزء الثامن – صفحة 401
[104]عمدة القاري شرح صحيح البخاري – بدر الدين العيني – الجزء الحادي والعشرون – صفحة 412
[105]المعلم بفوائد مسلم – الجزء الثالث - صفحة 159

نقاط الاتفاق بين المعجزة والكرامة والسحر ونقاط الافتراق

إن السحر والمعجزة والكرامة تتفق في أنها في خوارق العادات، فالسحر خارق للعادة، والمعجزة خارقة للعادة، والكرامة خارقة للعادة.
فالساحر يفعل أفعالاً تكون خارقة أمام الناس للعادات، كأن يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، أو يدخل النار ولا يحترق، وهذا واقع نعيشه، فإن غلاة الصوفية يفعلون ذلك، بل إنهم يشربون السم ولا يموتون، وترى أحدهم يمر بالسيف على فمه من الشق الأيمن حتى يخرج من الشق الأيسر ولا يموت، فهذه أفعال خارقة للعادة.
والمعجزة أيضاً خارقة للعادة، فموسى عليه الصلاة والسلام أخذ العصا أمام فرعون وألقاها فانقلبت إلى حية، فهذه معجزة من المعجزات، وأخرج يده من جيبه بيضاء للناظرين، وكذلك إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، فكل هذه معجزات لعيسى عليه الصلاة والسلام.
والكرامة أيضاً خارقة للعادة: فـ أبو مسلم الخولاني رضي الله عنه وأرضاه دخل النار وخرج عندما قال له الأسود العنسي الكذاب: تؤمن بأن محمداً نبياً صلى الله عليه وسلم؟ قال: أؤمن به نبياً، قال: تؤمن أني نبي؟ قال: لا أسمع، فأخذه فقطع أذنه وهو يقول لا أسمع، ثم ألقاه في النار فلم يحترق، فلما علم عمر رضي الله عنه وأرضاه به قال: الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من حدث له مثل ما حدث لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.
وتفترق بأن صاحب السحر كذاب أفاك أثيم شيطان رجيم، يتحدى بما فعل ويدعي النبوة، ثم يرتقي فيدعي الربوبية، وأشهر الدجاجلة هو المسيح الدجال، فهو سيأتي للخربة ويقول: أخرجي كنوزك فتخرج، وينظر إلى السماء فيقول: أمطري فتمطر، ثم بعد ذلك يدعي النبوة، ثم يرتقي فيدعي الربوبية، وسيشق الرجل نصفين ثم يقول له: قم فيقوم الرجل متهللاً فرحاً يقول: والله ما ازددت فيك إلا بصيرة، فأنت الدجال الذي أخبرنا عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول الدجال: تؤمن أني ربك؟ فيقول: لا أؤمن، ثم يريد أن يقتله مرة ثانية فلا يسلط عليه.
إذاً: فالسحر فيه تحدٍّ والمعجزة فيها تحدٍّ، ويفترقان في أن هذا تحد بالباطل وهذا تحد بالحق لإظهار النبوة.

8 :- حديث كل ابن آدم يأكله

وحدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا المغيرة يعني الحزامي، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عجب الذنب منه، خلق وفيه يركب»[106]
عَجَبُ الذَّنَبِ هُوَ بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَحَكَى صَاحِبُ الْمُحْكَمِ ضَمَّهَا أَيْضًا وَإِسْكَانُ الْجِيمِ وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَيُقَالُ لَهُ عَجَمُ الذَّنَبِ بِالْمِيمِ أَيْضًا وَفِي عَيْنِهِ الْوَجْهَانِ وَحُكِيَ فِي الْمُحْكَمِ عَنْ اللِّحْيَانِيِّ أَنَّ الْمِيمَ بَدَلٌ مِنْ الْبَاءِ قَالَ فِي الْمَشَارِقِ: رَوَاهُ بَعْضُ رُوَاةِ الْقَعْنَبِيِّ فِي الْمُوَطَّإِ وَهُوَ الْعَظْمُ اللَّطِيفُ

[106] مسلم 2955

الَّذِي فِي أَسْفَلِ الصُّلْبِ وَأَعْلَى مَا بَيْنَ الْأَلْيَتَيْنِ وَهُوَ رَأْسُ الْعُصْعُصُ وَهُوَ مَكَانُ رَأْسِ الذَّنَبِ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِنْ الْحَيَوَانِ وَكَأَنَّهُ لِهَذَا أُضِيفَ إِلَى الذَّنَبِ

فَقَالَ قَائِلٌ: الْعِيَانُ يَدْفَعُ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ; لِأَنَّا نَجِدُ الْمَيِّتَ يُكْشَفُ عَنْ لَحْدِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ; لِأَنَّهُ قَدْ فَنِيَ بِأَكْلِ التُّرَابِ إِيَّاهُ، وَوَجَدْنَاهُ يُحْرَقُ فَتَأْتِي عَلَيْهِ النَّارُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ.

فَكَانَ جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ أَنَّ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَمَا رُوِيَ عَنْهُ لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ، إِذْ كَانَ الَّذِينَ نَقَلُوهُ عَنْهُ هُمْ أَهْلُ الضَّبْطِ لَهُ الْمُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ , وَأَنَّ مَنْ جَهِلَ ذَلِكَ فَدَفَعَهُ بِجَهْلِهِ إِيَّاهُ جَاهِلًا بِلُطْفِ قُدْرَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ لُطْفِ قُدْرَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعِيدَ الْعِظَامَ الْمُرَكَّبَةَ فِي الْأَحْيَاءِ رُفَاتًا , ثُمَّ يُعِيدَهَا كَمَا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} [107]، وَكَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((إنَّ العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاءِ ففتَّه بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيحيي الله هذا بعد ما أرم؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: نعم، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم)) قال: ونزلت الآيات من آخر يس {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [108]، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [109]، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَمَا ذَكَرْنَا فِي لُطْفِ قُدْرَتِهِ؛ كَانَ غَيْرَ مُسْتَنْكَرٍ فِيهَا أَنْ يُبْقِيَ أَعْجَابَ الْأَذْنَابِ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنْ يَأْكُلَهُ التُّرَابُ، وَكَمَا وَقَى عَبْدَهُ وَنَبِيَّهُ وَخَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّهُ النَّارُ الَّتِي تَأْكُلُ مَا لَقِيَتْ مِنَ الْأَشْيَاءِ لِإِلْهَامِهِ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّاهَا ذَلِكَ بِحِفْظِهِ ذَلِكَ مِنْهُمْ حَتَّى يُظْهِرَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَشَاءُ إِظْهَارَهُ فِيهِ , وَإِنْ غَابَ ذَلِكَ مِنْ أَعْيُنِنَا فَهُوَ غَيْرُ غَائِبٍ عَنْهُ كَمَا قَدْ حَكَى لَنَا عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عَبْدِهِ لُقْمَانَ مِنْ قَوْلِهِ لِابْنِهِ: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [110]، وَهَذَا اللُّطْفُ غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ فِيهِ فِي أَعْجَابِ أَذْنَابِ بَنِي آدَمَ مَا قَدْ رُوِيَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ فِيهِ. وَاللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ . .

فإذا نظرنا إلى هذه الأحاديث النبوية نراها تقرر في وضوح إعادة الجسد الأول من التراب الذي استحال إليه وأن الأرض تأكل ابن آدم إلا عجب الذنب، وأما بقية الجسد فإنه يفنى ويضل فيها والله ـ سبحانه ـ وتعالى بقدرته يتولى خلقه الثاني فيحيي تلك الأجساد الميتة فيؤلف خلقها ويكمل صورتها بما ينزله على الأرض من الماء الذي ينزل عليها كأنه الطل حتى إذا اكتملت الصورة وتم الخلق أذن لهم بالخروج بنفخة البعث فخرج الناس من قبورهم ومكامنهم أحياء كأنهم إلى نصب يوفضون وتلك ساعة الحشر إلى الله التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من حديث عائشة رضي الله عنها: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً"[111]. وقد أخبر تعالى في كتابه أنه هو الذي يتولى النشأة الآخرة. قال تعالى: {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى} [112] وقال تعالى: {ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ} [113]

---

[107] [الروم: 27]

[108] لأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما جزء 10 صفحة =87

[109] [يس:-78 -79-]

[110] سورة لقمان 16

[111] مسلم 2859

[112] سورة النجم 47

[113] سورة العنكبوت 20

وقال تعالى: {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ}[114].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال الحسن بن الفضل البجلي الذي عندي في هذه الآية يعني قوله تعالى {وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ} أي أخلقكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون كيف شئت، وذلك أنكم علمتم النشأة الأولى كيف كانت في بطون الأمهات وليست الأخرى كذلك.

9 :- حادثة سالم مولى

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ كَانَ مَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ وَأَهْلِهِ فِي بَيْتِهِمْ فَأَتَتْ - تَعْنِي ابْنَةَ سُهَيْلٍ - النَّبِيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فَقَالَتْ: «إِنَّ سَالِمًا قَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ وَعَقَلَ مَا عَقَلُوا وَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْنَا، وَإِنِّى أَظُنُّ أَنَّ فِى نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا». فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم -: «أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ وَيَذْهَبِ الَّذِى فِى نَفْسِ أَبِى حُذَيْفَةَ». فَرَجَعَتْ فَقَالَتْ إِنِّى قَدْ أَرْضَعْتُهُ فَذَهَبَ الَّذِى فِى نَفْسِ أَبِى حُذَيْفَةَ).[115]

وفي رواية لأبي داود صححها الألباني: «فَأَرْضَعَتْهُ خَمْسَ رَضَعَاتٍ فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَبِذَلِكَ كَانَتْ عَائِشَةُ - رضي الله عنها - تَأْمُرُ بَنَاتِ أَخَوَاتِهَا وَبَنَاتِ إِخْوَتِهَا أَنْ يُرْضِعْنَ مَنْ أَحَبَّتْ عَائِشَةُ أَنْ يَرَاهَا وَيَدْخُلَ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا خَمْسَ رَضَعَاتٍ، ثُمَّ يَدْخُلَ عَلَيْهَا، وَأَبَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - أَنْ يُدْخِلْنَ عَلَيْهِنَّ بِتِلْكَ الرَّضَاعَةِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَرْضَعَ فِى الْمَهْدِ، وَقُلْنَ لِعَائِشَةَ: «وَاللهِ مَا نَدْرِى لَعَلَّهَا كَانَتْ رُخْصَةً مِنَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - لِسَالِمٍ دُونَ النَّاسِ»[116].

قَالَ أَبُو عُمَرَ هَكَذَا رَضَاعُ الْكَبِيرِ كَمَا ذَكَرَ عَطَاءٌ يُحْلَبُ لَهُ اللَّبَنُ وَيَسْقَاهُ

أولًا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ذهب طائفة من السلف والخلف إلى أن إرضاع الكبير يحرم. واحتجوا بما في صحيح مسلم وذكر الحديث .... ثم قال: وهذا الحديث أخذت به عائشة، وأبى غيرها من أزواج النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يأخذن به، مع أن عائشة روت عنه قال: «الرضاعة من المجاعة» [117] لكنها رأت الفرق بين أن يقصد رضاعة أو تغذية، فمتى كان المقصود الثاني لم يحرم إلا ما كان قبل الفطام، وهذا هو إرضاع عامة الناس.
وأما الأول فيجوز إن احتيج إلى جعله ذا محرم.
وقد يجوز للحاجة ما لا يجوز لغيرها، وهذا قول متوجه.

ثانيا: النص لم يصرح بأن الإرضاع كان بملامسة الثدي. سياق الحديث متعلق بالحرج من الدخول على بيت أبي حذيفة فكيف يرضى بالرضاع المباشر بزعمكم؟

---

[114] سورة الواقعة 60-61
[115] مسلم 1453
[116] أبي داود 2061
[117] أبي داود ج-2 ص 222

هل نسي هؤلاء أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حرم المصافحة؟ فكيف يجيز لمس الثدي بينما يحرم لمس اليد لليد؟
الحجة لا تقوم على الخصم بما فهمه خصمه وإنما تقوم بنص صريح يكون هو الحجة

وَمِمَّنْ قَالَ إِنَّ رَضَاعَةَ الْكَبِيرِ لَيْسَ بِشَيْءٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وعبد الله بن مسعود وبن عمر وأبو هريرة وبن عَبَّاسٍ وَسَائِرُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ عَائِشَةَ وَجُمْهُورُ التَّابِعِينَ وَجَمَاعَةُ فُقَهَاءِ الْأَمْصَارِ مِنْهُمُ اللَّيْثُ وَمَالِكٌ وبن أبي ذئب وبن أبي ليلى وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَأَبُو ثَوْرٍ وَأَبُو عُبَيْدٍ وَالطَّبَرِيُّ
وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((إِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ وَلَا رَضَاعَةَ إِلَّا مَا أَنْبَتَ اللَّحْمَ وَالدَّمَ))[118]
حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سُفْيَانَ قَالَ حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ قَالَ حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسَرْهَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ قَالَ حَدَّثَنَا أَشْعَثُ - وَهُوَ بن أَبِي الشَّعْثَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي رَجُلٌ قَاعِدٌ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ))[119]
عن مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَأَنَا مَعَهُ عِنْدَ دَارِ الْقَضَاءِ يَسْأَلُهُ عَنْ رَضَاعَةِ الْكَبِيرِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ إِنِّي كَانَتْ لِي وَلِيدَةٌ وَكُنْتُ أَطَؤُهَا فَعَمَدَتِ امْرَأَتِي إِلَيْهَا فَأَرْضَعَتْهَا فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا فَقَالَتْ دُونَكَ فَقَدَ وَاللَّهِ أَرْضَعْتُهَا فَقَالَ عُمَرُ أَوْجِعْهَا وَأْتِ جَارِيَتَكَ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ رَضَاعَةُ الصَّغِيرِ
وَاقْتَصَرْنَا فِي هَذَا الْكَلَامِ عَلَى الْكَلَامِ فِي فِقْهِهِ خَاصَّةً وَالَّذِي جَاءَ بِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ التَّحْرِيمُ بِرَضَاعَةِ الْكَبِيرِ
وَهُوَ مَذْهَبُ عَائِشَةَ مِنْ بَيْنِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَمَلَتْ عَائِشَةُ حَدِيثَهَا هَذَا فِي سَالِمٍ عَلَى الْعُمُومِ فَكَانَتْ تَأْمُرُ أُخْتَهَا أُمَّ كُلْثُومٍ وَبَنَاتِ أَخِيهَا أَنْ يُرْضِعْنَ مَنْ أَحَبَّتْ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهَا
وَرَأَى غَيْرُهَا هَذَا الْحَدِيثَ خُصُوصًا فِي سَالِمٍ وَسَهْلَةَ بِنْتِ سُهَيْلٍ
وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ كَاخْتِلَافِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ
فَذَهَبَ اللَّيْثُ إِلَى أَنَّ رَضَاعَةَ الْكَبِيرِ تُحَرِّمُ كَمَا تُحَرِّمُ رَضَاعَةُ الصَّغِيرِ
وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ
وَحُجَّتُهُمْ حَدِيثُ عَائِشَةَ فِي قِصَّةِ سَالِمٍ - مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَعَمَلُهَا بِهِ
وَذَكَرَ عَبْدُ الرزاق عن بن جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ سَهْلَةَ بِنْتَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ سَالِمًا مَعَنَا فِي الْبَيْتِ وَقَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ وَعَلِمَ مَا يَعْلَمُ الرجال فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((أَرْضِعِيهِ! تحرمي عليه))

---

[118] الإستذكار ج: 6 ص: 256
[119] الإستذكار ج: 6 ص: 256

قال بن أَبِي مُلَيْكَةَ فَمَكَثْتُ سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا لَا أُحَدِّثُ بِهِ رَهْبَةً لَهُ ثُمَّ لَقِيتُ الْقَاسِمَ فَقُلْتُ لَهُ لَقَدْ حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا مَا حَدَّثْتُ بِهِ بَعْدُ فَقَالَ مَا هُوَ فَأَخْبَرْتُهُ حَدِّثْ بِهِ عَنِّي فَإِنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْنِيهِ قَالَ أَبُو عُمَرَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حَدِيثٌ تُرِكَ قَدِيمًا وَلَمْ يُعْمَلْ بِهِ وَلَا تَلَقَّاهُ الْجُمْهُورُ بِالْقَبُولِ عَلَى عُمُومِهِ بَلْ تَلَقَّوْهُ بِالْخُصُوصِ

10 :- (الحديث الذي ذكر فيه سجود الشمس حديث صحيح)

رواه البخاري رحمه الله في بدء الخلق عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم[120]

وأخرجه في صحيحه باب تفسير القرآن عن أبي ذر رضي الله عنه بلفظ :" كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى: والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم[121]

الشبهة

سأل سائل فقال: قد أشكل علي معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن سجود الشمس تحت عرش الرحمن. كيف تسجد ؟ أتقف للسجود للواحد المعبود ؟ وإن حصل ذلك فمالنا لا نرى ذلك ؟ ثم إن الحديث الشريف يذكر أنها تصنع ذلك بعد غروبها مع انها تغرب عن أهل كل بلد فإذا كان الأمر كذلك فإنها تسجد في كل وقت لأنها غاربة في كل وقت عن بلد من البلاد. فما العمل؟ أفيدونا رحمكم الله وزادكم الله علماً.

الرد عليه

قبل الجواب لا بد من إيضاح مسائل هامة ينبني على فهما أكثر الفهم وأجوده .

أول هذه المسائل أن نؤمن بالصحيح المنقول من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعليه فإننا نتحرى صحة ما وردنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا ثبت عندنا صحة الخبر آمنا به وعملنا بما فيه مذعنين متعبدين. وثاني المسائل أنه إذا ثبت لدينا صحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه تحرينا الفهم الصحيح لمراده عليه الصلاة والسلام.

---

[120] بخاري 3199

[121] سورة يس 38

وتحري الفهم السليم مطلب شرعي قال تعالى :"الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه"[122] وفيه ترغيب على الاختيار من بين الأقوال ولا يتأتى حسن الاختيار إلا بحسن الفهم. ومن أعظم ما يشحذ ملكة الفهم وينميها التأمل والتفكر في آيات الله الشرعية والكونية وطلب العلوم النافعة من العلوم الدنيوية ، قال ابن تيمية في فتاواه رحمه الله في معرض جوابه عن تعلم العلوم النافعة وفضلها:" وأما الأمور المميزة التي هي وسائل وأسباب إلى الفضائل مع إمكان الاستغناء عنها بغيرها فهذه مثل الكتاب الذي هو الخط والحساب فهذا إذا فقدها مع أن فضيلته في نفسه لا تتم بدونها وفقدها نقص إذا حصلها واستعان بها على كماله وفضله كالذي يتعلم الخط فيقرأ به القرآن ؛ وكتب العلم النافعة أو يكتب للناس ما ينتفعون به : كان هذا فضلا في حقه وكمالا"

والأحاديث فيها مسائل لها تعلق بصحة فهم المراد الذي التبس على السائل وهي:

-1معنى السجود الوارد في الحديث.
-2لفظ الغروب والتعقيب عليه بلفظ الذهاب.
-3حرف "حتى" الدال على الغاية والحد.
-4القول في عرش الرحمن سبحانه وتعالى.

أول هذه المسائل معنى لفظ السجود الوارد في الحديث. و يبدو أن السائل قد توهم من معنى السجود توافر الأعضاء والأطراف التي في بني آدم لتحقيق السجود بالنسبة للشمس ولا يلزم هذا كما هو معلوم. وبهذا يكون قد التبس عليه المعنى الاصطلاحي الذي يستعمله الفقهاء في شرحهم لكيفية السجود في الصلاة بالمعنى اللغوي الذي هو أوسع دلالة وأكثر معنى مما دل عليه الاصطلاح. ومن معاني السجود في اللغة الخضوع كما ذكره ابن منظور وغيره. وعليه يُحمل ما في هذا الحديث وهو المقصود في قوله تعالى في آية الحج:" ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء "

قال ابن كثير رحمه الله :" يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به"

وعليه فسجود الشمس مما يختص بها ولا يلزم ان يكون سجودها كسجود الآدميين كما أن سجودها متحقق بخضوعها لخالقها وانقيادها لأمره وهذا هو السجود العام لكل شيء خلقه الله كما في آية الحج السابقة إذ كل شيء من خلق الله تعالى يسجد له ويسبح بحمده ، قال تعالى في آية النحل:"ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون"[123] والشمس داخلة في دواب السماء لأن معنى الدبيب السير والحركة والشمس متحركة تجري لمستقر لها كما هو معلوم بنص القرآن وكما هو ثابت بالعقل من خلال علوم الفلك المعاصرة إذ

[122] سورة الزمر 18
[123] نحل: 49

انها تدور حول نفسها ويسمون ذلك أي دوران الشيء حول نفسه وذلك في خلال سبعة وعشرين يوما أرضيا وتدور(مع المجموعة الشمسية) حول مركز المجرة اللبنية أو بسرعة تقترب من 220 كيلومترا في الثانية. وكل في فلك يسبحون.

وأن الشمس كما قدمنا لها سجدتان: سجود عام مستديم وهو سجودها المذكور في آية النحل والحج مع سائر المخلوقات وسجود خاص يتحقق عند محاذاتها لباطن العرش فتكون ساجدة تحته وهو المذكور في الحديث وفي كلا الحالتين لا يلزم من سجودها أن يشابه سجود الآدميين لمجرد الاشتراك في لفظ الفعل الدال عليه. ومن أمثلة ذلك من واقعنا أن مشي الحيوان ليس كمشي الآدمي وسباحة السمك والحوت ليست كسباحة الإنسان وهكذا مع انهم يشتركون في مسمى الفعل وهما المشي والسباحة .

هذه مسألة. أما المسألة الثانية فكما أنه يلزم من سجودنا التوقف عن الحركة لبرهة من الزمن وهو الإطمئنان الذي هو ركن في الصلاة فإنه لا يلزم بالمقابل أن يتوقف جريان الشمس لتحقيق صفة السجود. لأننا رأينا دلالة عموم لفظ السجود من آيتي الحج والنحل ومن شواهد لغة العرب على ان السجود هو مطلق الخضوع للخالق سبحانه. ومن المعلوم أن السجود عبادة والله قد تعبد مختلف مخلوقاته بما يناسب هيئاتها وصفاتها وطبائعها فكان الإنحناء والنزول للآدميين وكان غير ذلك من كيفيات السجود لسائر الكائنات والمخلوقات مع اشتراكهما في عموم معنى السجود الذي هو الخضوع لله تعالى طوعا او كرها.

ومع أن الشمس و المخلوقات بأجمعها تحت العرش في كل وقت إلا أنه لا يلزم أن تكون المخلوقات بأجمعها مقابلة لمركز باطن العرش لأن العرش كالقبة على السماوات والمخلوقات ، والشمس في سجودها المخصوص إنما تحاذي مركز باطن العرش فتكون تحته بهذا الإعتبار كما ذكره ابن كثير في البداية بشأن المحاذاة التحتية للعرش ، وكما قرره ابن تيمية رحمه الله في فتاواه وسائر أئمة اهل السنة من حيث أن العرش كالقبة وهو معلوم من حديث الأعرابي الذي أقبل يستشفع بالرسول صلى الله عليه وسلم وقصته مشهورة ثابتة

11 :- شبهه الحجر الأسود

روى البخاري عن ابن عمر -وسئل عن استلام الحجر الأسود- فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله[124].

وعن نافع قال: رأيت ابن عمر استلم الحجر بيده ثم قبل يده، وقال: "ما تركته منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله" متفق عليه[125].

وعن عمر: أنه كان يقبل الحجر الأسود ويقول: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك" رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه[126]

شبهة

وقع في يدي كتيب أثار فيه مؤلفه شبهات حول الحجر الأسود، ورد الأحاديث التي وردت في استلامه وتقبيله زاعما أنها تنافي دعوة الإسلام للتوحيد، ونبذ الأوثان وان محمد (ص) كان يعظم ويقبل الحجر الأسود ؟

الدراسة السطحية آفة من آفات المتعلمين عندنا، والتعجل في إصدار الحكم قبل الرسوخ في العلم، ودون الرجوع إلى أهل الذكر، ثمرة سيئة لهذه السطحية. وما أصدق ما قيل: إن الذين يتشككون في الدين إما جهلاء، أو متعلمون تضخمت في أذهانهم بعض المعلومات، ذلك أن إثارة الشبهات حول موضوع كاستلام الحجر الأسود، ورد الأحاديث فيه ببساطة ضلال مبين، وغفلة عن طبيعة العلم، وطبيعة الدين.:

طبيعة العلم: أن ترد جزئياته إلى قواعده، وعلم الحديث له قواعده وأصوله التي وضعها علماؤه لمعرفة المقبول من المردود في الأحاديث، وطبقوها بكل أمانة ودقة ما استطاعوا، وبذلوا جهود الأبطال في سبيل تنقية السنن النبوية، وتبليغها إلينا. أما قيمة الأحاديث التي رووها في شأن الحجر الأسود؟ فنورد عليك بعضها

قال الطبري: إنما قال عمر ذلك؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشى أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم الأحجار كما كانت تفعل العرب في الجاهلية، فأراد أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله، لا لأن الحجر يضر وينفع بذاته، كما كانت الجاهلية تعبد الأوثان. والأحاديث المذكورة أحاديث قولية صحيحة ثابتة، لم يطعن فيها عالم من علماء السلف أو الخلف، على أن الأمر أكثر من ذلك، فإن هذه سنة عملية تناقلتها الأجيال منذ عهد النبوة إلى الآن بلا نكير من أحد، فأصبحت من مسائل الإجماع، ولا تجتمع الأمة على ضلالة وهذا وحده أقوى من كل حديث يروى، ومن كل قول يقا

---

[124] بخاري 1611
[125] مسلم 1268
[126] بخاري 1597

هذا من ناحية العلم. وأما من ناحية الدين فالمؤمنون يعرفون تمام المعرفة أنه يقوم أول ما يقوم على الإيمان بالغيب (في جانب الاعتقاد)، وعلى الخضوع والانقياد لأمر الله (في جانب العمل) وهذا هو معنى لفظ الدين، ولفظ الع

والإسلام -باعتباره دينا- لا يخلو من جانب تعبدي محض، وإن كان أقل الأديان في ذلك. وفي الحج -خاصة- كثير من الأعمال التعبدية، ومنها تقبيل الحجر الأسود، والأمور التعبدية هي التي.

تعقل حكمتها الكلية وإن لم يفهم معناها الجزئي، والحكمة العامة فيها هي حكمة التكليف نفسه، وهي ابتلاء الله لعباده ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه.

الأمور التعبدية هي التي تكشف عن العبودية الصادقة لله من العبودية الزائفة. العبد الصادق يقول عند أمر الله مقالة الرسول والمؤمنين: (سمعنا وأطعنا)، والعبد المتمرد على ربه يقول ما قاله اليهود من قبل: "سمعنا وعصينا". ولو كان كل ما يكلف به العبد مفهوم الحكمة للعقل جملة وتفصيلا، لكان الإنسان حينما يمتثل إنما يطيع عقله قبل أن يكون مطيعا لربه.

وحسب المسلم أنه -حين يطوف بالبيت، أو يستلم الحجر -يعتقد أن هذا البيت وما فيه أثر من آثار إبراهيم عليه السلام، ومن إبراهيم؟ إنه محطم الأصنام، ورسول التوحيد وأب الملة الحنيفية السمحة (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين.(وان محمد (ص) كان يعظم ويقبل الحجر الأسود

* ان سيدنا عمر رضي الله عنه لما قبل الحجر الاسود قال : ((إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ يقبلك ما قبلتك)) إشارة إلى أن تقبيله أمر تعبدي ، وأن الضار و النافع في الحقيقة ، إنما هو الله تعالى وحده . , وإنما قال عمر رضي الله عنه : ((إنك لا تضر ولا تنفع)) لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام ، فخشي عمر وخاف أن يظن الجهال أن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله ، فنبه عمر رضي الله عنه على مخالفة هذا الاعتقاد ، وأنه لا ينبغي أن يعبد إلا من يملك الضر والنفع ، وهو الله وحده.

* لقد جاءت بعض الاحاديث الواردة في فضل الحجر الاسود وانه من الجنة فهو ليس كباقي الأحجار الأخرى:

روى البيهقي في صحيح الجامع ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ((لولا ما مس الحجر من انجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا شفي ومـا على الأرض شيىء من الجنـة غيره[127]))

وقد روى الحاكم وغيره في صحيح الجامع قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((إن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة))

[127] مصنف ابن أبي شيبة ج:3 ص: 275

وبالتالي من خلال هذين الحديثين وغيرهما نستطيع أن نعرف سبب القدسية والاهتمام الذي يحظى به الحجر الاسود.

ولقد انعقد اجماع الامة على مشروعية تقبيل الحجر الاسود وعليه فمن يدعي ان ذلك ينافي دعوة الاسلام لنبذ الاوثان فدعواه باطلة فشتان بين من يأتي ذلك طاعة لله ورسوله معتقداً ان الحجر لا ينفع ولا يضر وبين من يقدس الاوثان التي نهى الله عن الاقتراب منها، فطواف المسلم بالكعبة المشرفة وصلاته اليها انما هي عبادة لله لا

12 :- الرد على من أنكر خروج المهدي

أنكربعض العقلانيين ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظهور المهدي في آخر الزمان، وما أخبر به من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، وهذه جراءة عظيمة وخطيرة جدا، لأن إنكار الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومقابلتها بالرد والاطراح، يدل على الاستخفاف بأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويستلزم مشاقته واتباع غير سبيل المؤمنين، وقد قال الله تعالى: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا}، [128]وقال تعالى: {بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين}،[129] وليس إنكار الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر الهين، لأن الله تعالى يقول: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب[130]}

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[131].)

وهذا يدل على وجوب الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان في الماضي، وما يكون في المستقبل، ويدل أيضا على أن عصمة الدم والمال إنما تكون لمن آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبكل ما جاء به، ومن لم يؤمن به وبما جاء به فليس بمعصوم الدم والمال، وفي هذا أبلغ تشديد على من يرد الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم،

---

[128] النساء 115
[129] يونس 39
[130] الحشر: 7
[131] مسلم 34\(21)

ويعارضها برأيه أو برأي غيره.

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة .

وقال إسحاق بن راهوية: من بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر[132] .

وقال أبو محمد البربهاري في شرح السنة: إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئا من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتهمه على الإسلام فإنه رجل رديء المذهب والقول، وإنما يطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه .

وقال أيضا: لا يخرج أحد من أهل القبلة عن الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل، أو يرد شيئا من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يصلي لغير الله، أو يذبح لغير الله، فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام

وإذا علم ما ذكرته من الآيات والحديث وأقوال أهل العلم في التشديد على الذين يردون الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فليعلم أيضا أنه قد ثبت في ظهور المهدي في آخر الزمان عشرة أحاديث.

وأما خروج الدجال فقد جاء فيه أكثر من مائة وتسعين حديثا من الصحاح والحسان، وقد تواترت الأحاديث في خروج الدجال من وجوه متعددة ، ولو لم يكن منها سوى الأمر بالاستعاذة من فتنة الدجال في كل صلاة لكان ذلك كافيا في إثبات خروجه، والرد على من أنكر ذلك.

وقد روى عبد الرزاق بإسناد حسن، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إنه سيخرج بعدكم قوم يكذبون بالرجم ويكذبون بالدجال ويكذبون بالحوض ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بقوم يخرجون من النار[133] .

وهذا الأثر له حكم المرفوع لأن فيه إخبارا عن أمر غيبي وذلك لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف .

وقد ظهر مصداق ما جاء فيه من التكذيب بالدجال وغيره، فأنكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية، وردوا الأحاديث الواردة فيه، ذكر ذلك ابن كثير في النهاية قال: وخرجوا بذلك عن حيز العلماء لردهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة عن

---

[132] الدرر السنية ج:6 ص: 443

[133] إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (3/ 87)

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر النووي في شرح مسلم [134]أن مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار إثبات خروج الدجال خلافا لمن أنكره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة. انتهى والله أعلم

13:- حيث سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة

1- قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال:إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون[135]

2- أن نبي الله سليمان عليه السلام كان له ستون امرأة، فقال: لأطوفن الليلة على نسائي فلتحملن كل امرأة، ولتلدن فارسا يقاتل في سبيل الله، فطاف على نسائه، فما ولدت منهن إلا امرأة، ولدت شق غلام. قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: لو كان سليمان استثنى لحملت كل امرأة منهن، فولدت فارسا يقاتل في سبيل الله. [136]

3- - قال سليمان بن داود نبي الله: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة. كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله. فقال له صاحبه، أو الملك: قل إن شاء الله. فلم يقل، ونسي. فلم تأت واحدة من نسائه. إلا واحدة جاءت بشق غلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولو قال: إن شاء الله، لم يحنث، وكان دركا له في حاجته.[137].

الأحاديث المذكورة هي مما صحت في هذا الباب ، ورد تلك الأحاديث من كان في عقولهم الخبل والتحير ، وفيما يلي شبههم:

شبهات

الشبهة الأولى هي: هل النبي سليمان جامع مئة أم تسعين أم ستين أم سبعين؟ الثانية هي: كيف يمكن أن يجامع رجل ستين، أو مئة امرأة في ليلة واحدة، فذلك مستحيل من الناحية الزمانية، ومن الناحية الصحية أو الطبية؟

---

[134] شرح النووي ج:18 ص:58

[135]الراوي: أبو هريرة المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 2819 خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

[136]الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 7469 خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

[137]الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 1654 خلاصة حكم المحدث: صحيح

الثالثة: لماذا لم يقل نبي الله إن شاء الله أليست هذه إساءة لنبي الله؛ لأن أي واحد اليوم ولو كان ضعيف الإيمان يقول إن شاء الله. فما بالك بنبي الله المختار؟

ورد العلماء على هذه الشبه الواهنة بما يأتي:

1 : إن نبي الله سليمان -عليه السلام- جامع في تلك الليلة فوق تسعين ودون مائة امرأة؛ فستون منهن كن من الحرائر وأكملهن بالسراري؛ فقد جمع الحافظ بين الروايات المذكورة في الحديث فقال في الفتح: فَمُحَصَّلُ الرِّوَايَاتِ: سِتُّونَ، وَسَبْعُونَ، وَتِسْعُونَ، وَتِسْعٌ وَتِسْعُونَ، وَمِائَةٌ. وَالْجَمْعُ بَيْنَهَا أَنَّ السِّتِّينَ كُنَّ حَرَائِرَ، وَمَا زَادَ عَلَيْهِنَّ كُنَّ سِرَارِيَ أَوْ بِالْعَكْسِ، وَأَمَّا السَّبْعُونَ فَلِلْمُبَالَغَةِ، وَأَمَّا التِّسْعُونَ وَالْمِائَةُ فَكُنَّ دُونَ الْمِائَةِ وَفَوْقَ التِّسْعِينَ، فَمَنْ قَالَ تِسْعُونَ أَلْغَى الْكَسْرَ، وَمَنْ قَالَ مِائَةٌ جَبَرَهُ- أي أكمل الكسر- .. وَقَدْ حَكَى وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ فِي الْمُبْتَدَأِ أَنَّهُ كَانَ لِسُلَيْمَانَ أَلْفُ امْرَأَةٍ ثَلَاثُمِائَةٍ مَهِيرَةٌ، وَسَبْعُمِائَةِ سَرِيَّةٌ".

2-- هذا ليس من المستحيل عقلا؛ لأن الذي أعطى القوة على الجماع مرة ومرتين في ليلة، قادر على أن يعطي أكثر من ذلك.

ثم إذا كان هذا ليس معتادا عند سائر الناس فإنه ليس مستبعدا على الأنبياء الذين أعطاهم الله من القوة ما لم يعطَ غيرهم. فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه في ساعة من ليل أو نهار بغسل واحد، وكن يومئذ إحدى عشرة.

قال -الرواي عن أنس- قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين.وفي رواية الإسماعيلي: قوة أربعين. وجاء في جامع الأصول: فإن الأنبياء عليهم السلام زيدوا في النكاح بسبب نبوتهم، فإنه إذا امتلأ الصدر بالنور، وفاض في العروق، التذت النفس والعروق، فأثارت الشهوة وقواها، وريح الشهوة إذا قويت، فإنما تقوى من القلب والنفس، فعندها القوة.
وقال الحافظ في الفتح: وَفِي الحديث مَا خُصَّ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى الْجِمَاعِ الدَّالِّ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ الْبِنْيَةِ، وَقُوَّةِ الْفُحُولِيَّةِ، وَكَمَالِ الرُّجُولِيَّةِ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِالْعِبَادَةِ وَالْعُلُومِ، وَقَدْ وَقَعَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ أَبْلَغُ الْمُعْجِزَةِ؛ لِأَنَّهُ مَعَ اشْتِغَالِهِ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَعُلُومِهِ، وَمُعَالَجَةِ الْخَلْقِ كَانَ مُتَقَلِّلًا مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ الْمُقْتَضِيَةِ لِضَعْفِ الْبَدَنِ عَلَى كَثْرَةِ الْجِمَاعِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَكَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ فِي لَيْلَةٍ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ وَهن إحدى عَشْرَةَ امْرَأَةً. وَيُقَالُ إِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَتْقَى لِلَّهِ فَشَهْوَتُهُ أَشَدُّ؛ لِأَنَّ الَّذِي لَا يَتَّقِي يَتَفَرَّجُ بِالنَّظَرِ وَنَحْوِهِ.[138]

3-- أما الاستثناء فكان مستقرا في قلبه، وقول صاحبه له: قل إن شاء، كان ذلك في أثناء كلامه، وبعد فراغه من كلامه نسيها كما جاء في بعض روايات الحديث في الصحيحين: فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ.

قال ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين: وَإِنَّمَا ترك سُلَيْمَان الاستثناء نِسْيَانا، فَلم يسامح بِتَرْكِهِ وَهُوَ نَبِي كريم، يقْتَدى بِهِ.

---

[138] ج: 6 ص: 462

وقال الحافظ في الفتح: قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: نَبَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى آفَةِ التَّمَنِّي وَالْإِعْرَاضِ عَنِ التَّفْوِيضِ. قَالَ: وَلِذَلِكَ نَسِيَ الِاسْتِثْنَاءَ لِيَمْضِيَ فِيهِ الْقَدَرُ... وَمَعْنَى قَوْلِهِ: فَلَمْ يَقُلْ أَيْ بِلِسَانِهِ، لَا أَنَّهُ أَبَى أَنْ يُفَوِّضَ إِلَى اللَّهِ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ ثَابِتًا فِي قَلْبِهِ، لَكِنَّهُ اكْتَفَى بِذَلِكَ أَوَّلًا، وَنَسِيَ أَنْ يُجْرِيَهُ عَلَى لِسَانِهِ لَمَّا قِيلَ لَهُ لِشَيْءٍ عَرَضَ لَهُ.
وقال ابن حزم في الملل والنحل: ولا يجوز أن يظن به أنه يجهل أن ذلك لا يكون إلا أن يشاء الله -عز وجل- وقد جاء في نص الحديث المذكور أنه إنما ترك إن شاء الله نسيانا، فأخذ بالنسيان في ذلك، وقد قصد الخير.

لو قال قائل لماذا عوقب سليمان عليه السلام للنسيان مع أن الذنب مع النسيان لا يعاقب ؟
نقول : إن رفع القلم عن النسيان مما اختصت به هذه الأمة عن سائر أمم الأنبياء السابقين كما ورد في الحديث الصحيح " رفع عن أمتي الخطأ والنسيان .....
وقول النبي صلى الله عليه وسلم " رفع عن أمتي .. " يدل على أن الأشياء المذكورة تختص بها هذه الأمة - الله أعلم -

14 :- حادثة تكلم البقرة

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: (بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث)، فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم، فقال : (فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر - وما هما ثم - وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة ، فطلب حتى كأنه استنقذها منه ، فقال له الذئب هذا: استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري)، فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم، قال: (فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم .) [139]

الإيمان بالغيب جعله الله جل وعلا من أعظم مناقب المتقين {الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ..} [140]

الغيب لا يعرف لا بعقل ولا بتجربة إنما يعرف بالخبر والنقل الصحيح إما آية في كلام الله وإما خبر صحيح عن رسولنا صلى الله عليه وسلم.

---

[139] الراوي: أبو هريرة - المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 3471 خلاصة حكم المحدث: صحيح

[140](سورة البقرة)

ما صح عن رسولنا صلى الله عليه وسلم يُقبل ولو لم تكن عقولنا لم تبلغ تصوره، فالخلل في أذهاننا لا في خبر المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ورد هذا الحديث من ابتلي بإنكار الأحاديث لمجرد مخالفة العقل فقالوا :إن الركب على البقرمما حث عليه القرآن كقوله تعالى " اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ "[141] فكيف يحدث نبينا الكريم مثل هذا الخبر المخالف للآيات القرآنية :

والجواب أن المراد بـ"من " في قوله تعالى " لتركبوا منها" التبعيض فمعنى الآية "لتركبوا على ظهور بعض هذه الحيوانات" كما قال أهل التفسير (صفوة التفاسير جـ صـــ) فعلى هذا التفسير ليس هناك أي مخالفة بين الحديث والآية – الله أعلم – ثم لم تجرِ به أعراف الناس أنه يُركب على متنه كما يركب على الإبل والحصان ويُتنقل به، فوضع الشيء في غير موضعه نوع من الظلم، ولهذا كان الشرك بالله أعظم الظلم؛ لأنه أي شيء أنكى وأبعد عن سيره من أن يأتي أحد لمخلوق أو لشيء لا يملك ضرا ولا نفعا فيعبده من دون الله، لهذا سمى الله الشرك ظلماً عظيماً {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لظلم عَظِيمٌ} [142]
وأما تكلم البقر فلا أدري من أنكره ، لأن تكلم الحيوان ثابت بالقرآن والسنة –الله أعلم -

15 :- حديث قتل الوزغ

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:من قتل وزغا في أول ضربة كتب له مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك[143]

ومعلوم لكل مسلم منزلة صحيح الامام مسلم وأنه من أصح الكتب يقول الامام النووي:اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الامة بالقبول

قال النووي بناءا على ذلك لايجوز مخالفة اجماع الامة لأن إجماع الامة حجة يجب اتباعها قال النبي صلى النبي صلى الله عليه وسلم:لاتجتمع أمتي على ضلالة.رواه ابن ماجة

---

[141] سورة الغافر 79
[142]لقمان:13
[143]رواه الامام مسلم في صحيحه رقم(2240)

فالقضية ليست قضية اجتهاد كما يقول الكاتب بل مخالفة لإجماع الامة وهذا لايجوز وفيهم أئمة الحديث الذين يرجع إليهم في تصحيح الحديث وتضعيفه لأن هذا هو تخصصهم الذي بذلوا فيه أعمارهم حتى خالط الحديث دماءهم فصارت لهم ملكة لاتوصف في تمييز صحيحه من ضعيفه ولهم في ذلك قصص مثل الخيال،

فالحديث يعني حديث الامر بقتل الوزغ فيه اختلاف وهو مما انفرد به أبوهريرة رضي الله تعالى عنه. وهوالطعن في راوية الاسلام وحافظ الصحابة أبوهريرة وهذا من أخطر الشبهات

الأمر بقتل الوزغ أو الضب في عرفنا جاء عن عدد من الصحابة فقد جاء في صحيح مسلم في باب استحباب قتل الوزغ:عن أم شريك رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها بقتل الأوزاغ

وقد أخرجه أيضا وزاد فيه وقال:كان ينفخ على إبراهيم. وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقا[144]

فكما ترى أيها القارئ الكريم أن الحديث لم ينفرد به ابوهريرة .يقول الامام النووي رحمه الله تعالى:واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات...وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وحث عليه ورغب فيه لكونه من المؤذيات

وأما سبب تكثير الثواب في قتله بأول ضربة ثم مايليها فالمقصود به الحث على المبادرة بقتله والاعتناء به وتحريض قاتله على ان يقتله بأول ضربة فإنه إذا أراد أن يضربه ضربات ربما انفلت وفات قتله

وهذه المذكورات خرجت عن خلق معظم الحشرات ونحوها بزيادة الضرر والأذى[145]فالوزغ او الضب مؤذي وضار ومفسد وقد لاتحيط العقول بالأضرار التي يسببها للناس الا بعد بحوث ودراسات موسعة ولكن ماظهر من اضراره يبين عظمة هذا التشريع الاسلامي وأنه من لدن حكيم خبير

بعد أن حاول أعداء السنة التشكيك في عدالة الصحابة ، كخطوة أولى لتمهيد السبيل ، وفتح الباب للطعن والتشكيك في أفرادهم وآحادهم - طالما أن عدالتهم وديانتهم قد سقطت - ، جاءوا إلى بعض الصحابة الذين عرفوا بكثرة الحديث والرواية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فوجهوا سهام النقد إليهم ، ورموهم بكل نقيصة ، سعياً منهم إلى نزع الثقة فيهم ، وبالتالي إهدار جميع مروياتهم ، وعدم اعتبار أي قيمة لكتب السنة التي أخرجت هذه الأحاديث ، وأجمعت الأمة على تلقيها بالقبول ، وهذا هو ما يريدون التوصل إليه.
ولا يوجد أحد من الصحابة تعرض لحملات جائرة مسعورة ، بمثل ما تعرض له الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه ، وهي حملات ليست جديدة في الحقيقة ، فقد أطلق بعض أهل الأهواء ألسنتهم فيه منذ القدم لتسويغ بدعتهم وانحرافهم

---

[144] مسلم 2238
[145](شرح مسلم للنووي194/14).

وكذا يقول منكروا الأحاديث الصحيحة : إن السبب الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم أي كان ينفخ على إبراهيم يخالف للآيات القرآنية وهي " أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى"[146]

فالوزع المذكور في قصة إبراهيم واحد فكيف نقتل الأخرى على فعله؟

نرد عليهم أن السبب الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ليس السبب المهم فأنما هي حكاية حال ، ولكن السبب المهم هو أنه من الفويسق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم – الله أعلم -

16 – حديث إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان

أنكر بعض من العقلانيين حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه [147].

فهذا الحديث صحيح، رواه الإمام مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه، والإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه وصححه.

فلا إشكال في ثبوت الحديث، كما أنه لا إشكال -بحمد الله- في معناه عند أحد من علماء الإسلام، فقد رووه في كتبهم، وتناولوه بالشرح الذي يزيل أي شبهة قد تعرض لأحد نتيجة الهوى أو قلة العلم.

قال الإمام القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: وقوله: إن المرأة تقبل في صورة شيطان؛ أي: في صفته من الوسوسة، والتحريك للشهوة؛ بما يبدو منها من المحاسن المثيرة للشهوة النفسية، والميل الطبيعي، وبذلك تدعو إلى الفتنة التي هي أعظم من فتنة الشيطان، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ما تركت في أمتي فتنة أضر على الرجال من النساء.

فلمّا خاف صلى الله عليه وسلم هذه المفسدة على أمته أرشدهم إلى طريق بها تزول وتنحسم، فقال: إذا أبصر أحدكم المرأة فأعجبته فليأت أهله، ثم أخبر بفائدة ذلك، وهو قوله: فإن ذلك يردّ ما في نفسه. اهـ.

وقال ابن الجوزي في كتابه: كشف المشكل من حديث الصحيحين: وقوله: في صورة شيطان أي: إن الشيطان يزين أمرها، ويحث عليها، وإنما يقوى ميل الناظر إليها على قدر قوة شبقه، فإذا جامع أهله قل المحرك وحصل البدل. اهـ

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم: إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان. قال العلماء: معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء، والالتذاذ بنظرهن، وما يتعلق بهن، فهي شبيهة بالشيطان في

---

[146] سورة النجم 38

[147] مسلم :1403

دعائه إلى الشر بوسوسته، وتزيينه له، ويستنبط من هذا أنه ينبغي لها أن لا تخرج بين الرجال إلا لضرورة، وأنه ينبغي للرجل الغض عن ثيابها، والإعراض عنها مطلقا. اهـ
وليس الحديث مسوقًا لذم المرأة العفيفة الشريفة، بل هو للتحذير من فتنة النساء، ولذم المرأة التي تظهر مفاتنها للرجال، وتغويهم بجسدها، والله أعلم.

17 :- حديث إن الحبةَ السوداءَ شفاءٌ مِن كل داءٍ إلا السامِ

رَوى البخاريُّ في صحيحه عن خالد بن سعد قال: خرجنا ومعنا غالبُ بن أبجَرَ، فمرِض في الطريق، فقَدِمنا المدينةَ وهو مريضٌ، فعاده ابن أبي عَتيق فقال لنا: عليكم بهذه الحُبَيْبَة السويداء، فخُذوا منها خمسًا أو سبعًا، فاسحقُوها، ثم اقْطُرُوها في أنفِهِ بقَطراتِ زيتٍ في هذا الجانب وهذا الجانب، فإن عائشةَ رضي الله عنها حدَّثتني أنها سمعتِ النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: "إن الحبةَ السوداءَ شفاءٌ مِن كل داءٍ إلا مِن السام" قلت: وما السامُ؟ قال: الموت[148]."
وفي رواية أخرى للبخاريِّ عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: "في الحبة السوداءِ شفاءٌ مِن كل داء إلا السام[149]

وقد أنكر المعتزلة وبعض من العقلانيين هذا الحديث, وأخذوا يعددون الأمراض مستهزأً مستفسراً هل تنفع حبة البركة مع السرطان ، السكري ، الكبد الوبائي .... ؟

ظهرتْ في هذه الأيام مَقولة تُفيدُ أن الحبَّةَ السوداء شِفاءٌ مِن كل داء، ونُسبت هذه المقولة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيل: إنها في صحيح البخاريِّ. وزعم كثيرٌ من الناس أن هذه الحبة السوداء هي حبَّة البَرَكة، وأنها تَحتوي على أدوية كثيرة تُفيد في علاج أمراض كثيرة لا تَكاد تَنحصر، حتى قيل: إنها علاجٌ لكل مرض إلا السامُ، وهو الموت. فنقول للسائل إن قول النبي صلى الله عليه وسلم (شفاء من كل داء)ليس معناه كل ألأمراض لأن كل في اللغة لا تفيد مطلق العموم وإنما معنى هذا أنها شفاء لكل الأمراض التي تقبل الشفاء بها

ولا يَنبغي أن يُؤخذ قوله صلى الله عليه وسلم: "شفاء مِن كل داء" على عُمومه؛ فإنه مِن قَبيل العامِّ المَخصوص، كما يقول علماء الحديث والأصول والطب. والمعنى: هي شفاء من كل داء يَقبل العلاج بها. فهي كما قال ابن حجر: "إنما تَنفع في الأمراضِ الباردة" وهي أمراض يَعرفها الأطباء ويُشخِّصونها.
وهي تُستخدم وحدها أحيانًا، وتُستخدم مَخلوطة بالعسل وغيره أحيانًا. ولها فوائدُ كثيرةٌ ذكَرها داود الإنطاكيُّ في كتاب "التذكرة" ذكرها في "الشونيز" وهو ما يُسمَّى بالحبة السوداء.
واعلمْ يا أخي أن العُموم لا يَبقَى على عُمومه دائمًا، بل يُخصَّص في كثير من الأحكام والأخبار

---

[148] بخاري 5687
[149] بخاري 5688

بحسب القرائن والأحوال.
واعلمْ أن الأدواء عند العرب كانت مَحدودة، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الحبة السوداء شفاء من كل داء" أي مِن أكثر الأدواء المَعروفة عندهم. ولفْظُ "كل" لا يُفيد العموم المُطلق كما يَتوهَّم كثيرٌ من الناس، فقد جاء في القرآن الكريم عن الريح التي أرسَلها الله على قوم عاد أنها دمَّرت كلَّ شيء مع أنها لم تُدمِّر إلا الناس، اقرأ قوله تعالى في سورة الأحقاف: (تُدَمِّرُ كُلَّ شيءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا مَساكِنُهُمْ)[150] ومعنى هذا أنها لم تُدمر المساكن ولكنها دمَّرت الأشخاص، بدليل قوله في آيةٍ أخرى من سورة القمر: (تَنْزِعُ الناسَ كأَنَّهمْ أعجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ)[151] وقوله تعالى في سورة الحاقَّة: (سَخَّرَهَا عليهمْ سَبْعَ لَيالٍ وثَمانيةَ أيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى القَوْمَ فيهَا صَرْعَى كأَنَّهمْ أعجازُ نَخْلٍ خَاوِيةٍ.[152]

18 :- حديث العين

فقد رواه البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «العين حق، ونهى عن الوشم». [153]

وروى مسلم بنفس الطريق - أيضا - عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «العين حق». [154]

وأخرج الإمام مسلم أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا[155]

ما جاء في صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «أمرني النبي صلى الله عليه وسلم - أو أمر - أن يسترقى من العين». [156]

وفي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «كان إذا اشتكى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رقاه جبريل قال: باسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين». [157]

---

[150] الأحقاف 25
[151] القمر 20
[152] الحاقة 07
[153] صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الطب، باب: العين حق، (10/ 213)، رقم (5740
[154] صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقى، (8/ 3307)، رقم (5597.(
[155] ». صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب السلام، باب: الطب والمرض والرقى، (8/ 3307)، رقم (5598.(
[156] صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الطب، باب: رقية العين، (10/ 210)، رقم (5738.(
[157] صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقي، (8/ 3307)، رقم (5595.(

مضمون الشبهة:
يدعي بعض أعداء السنة النبوية بطلان حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي رواه الشيخان، والذي جاء فيه: «العين حق» وزاد مسلم: «ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين.«

ويستدلون على ذلك بأن هذا الحديث يخالف العقل، فكيف تعمل العين من بعد، حتى تعل وتسقم؟ فلا يمكن أن يصيب شخص شخصا آخر بغير اتصال أو ملامسة، ولا يمكن أن يؤثر في الحس المادي إلا حس مادي مثله نراه ونبصره بأعيننا.

رامين من وراء ذلك إلى إنكار هذا الحديث برواياته، تمهيداً للطعن في السنة جميعها.

أولا. حديث «العين حق» حديث صحيح في أعلى درجات الصحة سندا، وتأثير العين أمر ثابت بالقرآن والسنة وإجماع الأمم والملل:
أما من القرآن فنذكر ما يأتي:
قوله تعالى :(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)[158]، حيث أمر الله بالاستعاذة من شر الحاسد والعائن.

قال القرطبي في تفسيرها: "أخبر بشدة عداوتهم للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأرادوا أن يصيبوه بالعين؛ فنظر إليه قوم من قريش، وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه. وقيل: كانت العين في بني أسد، حتى إن البقرة السمينة، أو الناقة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها، ثم يقول: يا جارية، خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم هذه الناقة، فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر.

قوله تعالى على لسان يعقوب - عليه السلام - موصيا بنيه :(وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) [159]
وقد ذكر الطبري في تفسير هذه الآية: وذكر أنه قال ذلك لهم؛ لأنهم كانوا رجالا لهم جمال وهيأة، فخاف عليهم العين إذا دخلوا جماعة من طريق واحد، وهم ولد رجل واحد، فأمرهم أن يفترقوا في الدخول إليها". جامع البيان عن تأويل آي القرآن

ثانيا. كثرة الوقائع المشاهدة في كل زمان ومكان مما يثبت تأثير العين الذي لا ينكر.

---

[158] الفلق 1-5
[159] يوسف.67 :

كثيرة هي تلك الوقائع والمشاهد التي تؤكد حقيقة العين، وظهور أثرها في الأشياء والأجسام، مما يصدق على صحة الأحاديث الواردة في هذا الباب، وقد شرح هذه الوقائع والمشاهد كما رآها أو سمعها كثير من العلماء مثل ابن القيم وابن حجر وابن قتيبة.

ويرد ابن القيم على من أنكر العين، ويقول: "فأبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين، وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجابا، وأكثفهم طباعا، وأبعدهم عن معرفة الأرواح والنفوس، وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها، وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين، ولا تنكره، وإن اختلفوا في سببه، وجهة تأثير العين

ثالثا. العلم الحديث والتجربة المشاهدة تثبت أن للعين قوة خارقة في التأثير في الآخرين دون اتصال أو ملامسة.

إنه ليس صحيحا ما زعمه هؤلاء المغرضون من أن أحاديث تأثير العين مردودة؛ بحجة أنها تخالف العلم، وما هي إلا خرافة؛ لأنه لا يمكن أن يصيب الشخص شخصا آخر بغير اتصال وملامسة، وشق عليهم أن يصدقوا أن العين تؤثر من بعد، حتى تعل وتسقم.

فقد أثبت العلم الحديث صدق ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- بشأن قدرة العين الخارقة في التأثير في الآخرين.

فتحت عنوان: (من شر حاسد إذا حسد) كتب الأستاذ فراس نور الحق - مدير موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - يقول:

"تقول الكاتبة والباحثة الإنجليزية والصحفية التي جمعت أخطر دراسات في مجال الطاقة (لين ماكتاجارات) في كتابها: "البحث عن سر قوة الكون": "لقد كشف العلم الحديث أن للعين قوى خارقة، كما أظهرت الدراسات أن هذه القدرات ليست حكرا على أحد، أو خاصية يتمتع بها أناس متميزون عن غيرهم، بل هي موجودة في معظم البشر، وأقل البشر شريطة أن يدرك قدراته، ويعرف الطرق لاستخدامها". العين والقدرات الخارقة، د. محمد السقا، مقال بموقع: اسم الله

الخلاصة:

♦إن حديث «العين حق» صحيح في أعلى درجات الصحة؛ فقد رواه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما، كما ورد في كثير من كتب السنة الأخرى بطرق متواترة صحيحة مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

♦لقد كثرت آيات القرآن الكريم، وتواترت الأحاديث النبوية الشريفة في نفس معنى الحديث، بأن العين حق، ولها قدرة عظيمة لا تنكر في التأثير في طبائع الأشياء والأجسام الأخرى من بعد دون اتصال أو ملامسة، حتى إنها لتعل الإنسان وتسقمه.

♦ما من أمة من الأمم إلا وأدركت ما للعين من هذه الخاصية الخارقة، ولم نجد أمة من الأمم، أو ملة من الملل أنكرت ذلك أو شكت فيه.

19 :- حديث قتل مائة نفس

عَنْ أَبِيْ سَعِيْدٍ الْخُدْرِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَا لَ: " كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَ تِسْعِيْنَ نَفْسا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ اهْلِ الْأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَ تِسْعِيْنَ نَفْسا ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَّوْبَه ؟ ! فَقَالَ : لَا ، فَقَتَلَهُ ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَ مَنْ يَحُوْلُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْتَّوْبَةِ ؟! انْطَلِقْ إِلَى ارْضَ كَذَا وَ كَذَا ، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسا يَعْبُدُوْنَ اللَّهَ تَعَالَى ، فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى ارْضَكَ ، فَإِنَّهَا ارْضَ سُوءُ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الْطَّرِيْقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ ، فَخْتَصَّمَتِ فِيْهِ مَلَائِكَةُ الْرَّحْمَةِ وَ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ . فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبا مُقْبِلا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَ قَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرا قَطُّ . فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِيْ صُوْرَةِ آَدَمِيٍّ فَجَعَلُوْهُ بَيْنَهُمْ - اىَ حُكْما - فَقَالَ قِيْسُوْا مَا بَيْنَ الارَضِيْنَ ، فَإِلَى ايَّتِهُما كَانَ أَدْنَى ، فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوْا فَوَجَدُوْهُ أَدْنَى إِلَى الْارْضِ الَّتِيْ أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الْرَّحْمَةِ"
هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[160]

ولم أجد فيما بحثت من مطاعن بشأنه إلا شبهات ضعيفة لا تنال منه هي:-

الأولى -: قول القائل "المتأمل في حال هذا الرجل يجده رجلا يائسا والتوبة لا تصح من التائب إلا إذا كان راجيا نادما طامعا في رحمة الله مع القيام بالوسائل المؤدية إلى ذلك. "
الثانية -: أن مدلول الحديث يتناقض مع مفهوم قولهتعالى(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) [161]
وكلا الطعنين تناول العلماء الرد عليهما بما مفاده-:
أن الرجل لم يكن مشرفا على الموت حتى يعتبر يائسا ، لأن الآية الكريمة ذكرت المشرف على الموت فقط في قوله تعالى) وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن .. الآية (النساء 18، وأن المراد بالخلود في الآية المكث الطويل الدائم وليس التأبيد ، ولو كانت الأخرة لقال تعالى (خالدا فيها أبدا) كما قال في آيات أخرى.
الثالثة -: وأما الثالثة فهي عدم جواز الإحتجاج بشرع من قبلنا ، وهذه الشبهة رد عليها القاضي عياض بما معناه :- " لايجوز الإحتجاج بشرع من قبلنا إذا لم يرد فى شرعنا تقريره أو موافقته ، أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف

[160] مسلم 2766
[161] (النساء93)

وإزاء ذلك أجد بعض ملاحظات وتساؤلات أضعها بين أيديكم وأطلب الجدل حولها بالحسنى وبالحجة هي -:

أولا -: يبدأ الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم) كان فيمن كان قبلكم (، وفي رواية البخاري أن الرجل من (بني اسرائيل) ، اذن فلنعرج على التوبة عند بني اسرائيل لنتعرف عليها قليلا في القرآن الكريم-:

قال تعالى): وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْأَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْإِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [162]،عن ابن عباس قال " إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي منولد ووالد فيقتله بالسيف ، ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن . فتاب أولئك الذينكانوا خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم ، فاعترفوا بها وفعلوا مأمروا به فغفر الله تعالى للقاتل والمقتول " ، وهذا التشدد في التوبة يأتي ضمن التشدد العام الذي ضربه الله تعالى على بني إسرائيل في أمور كثيرة ، قال الله تعالى " ليرفع عنهم الإصر والأغلال..

فكيف إذن بمن قتل تسعة وتسعون نفسا أتم بأعبد أهل الأرض بهم المائة ؟.

ليس ذلك فحسب بل جعل الله تعالى في شرعة بني إسرائيل ، أنه من قتل نفسا واحدة بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا ، فذلك قوله تعالى (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً [163])

وأما إذا تخطينا ذلك إلى شريعة الإسلام حول القتل العمد ، نجد أن كثيرا من الفقهاء والعلماء يرى أنه ليس للقاتل توبة ، أخذا عن حبر الأمة وفقيهها عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، الذي يقول - كما نقل عنه ابن كثير - بعدم قبول توبة القاتل المتعمد ، فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية بمكة)وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) (الفرقان(، فقال المشركون : وما يغنى عنا الإسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله وأتينا الفواحش ، فأنزل الله عز وجل) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (، فقال " فاما من دخل فى الإسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له " ، وتمسك ابن عباس في هذا الصدد بقوله تعالى) و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها و غضب الله عليه و لعنه و أعد له عذابا عظيما)[164]

ثانيا -: دل العالم الذي هو أعلم أهل الأرض الرجل إلى أرض بها أناس يعبدون الله تعالى بها ، ونصحه بأن يذهب إليهم وألا يعود إلى أرضه التي هي أرض سوء ، فهل هذه بنصيحة عالم ، أليس من الأولى والأفضل أن ينصحه بالبقاء في أرضه السوء ليرشد الناس إلى الخير

---

[162](البقرة 54

[163] المائدة 32

[164](النساء 93)

والصلاح ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، خاصة وأنه كما يبدو من الرواية ذو بأس وقوة لدرجة أنه قتل كل هذه الأنفس.
وأليس من الأفضل كذلك أن ينصحه بتسليم نفسه للسلطات لتنال العدالة الأرضية منه وتسترد حقوق هؤلاء الذين قتلهم وحقوق ذويهم ، خاصة وأن من شرائط التوبة رد الحقوق والمظالم لأصحابها ، يقول بن عثيمين رحمه الله - :
"والقتل العمد فيه ثلاثة حقوق : الأول : حق الله وهذا يسقط بالتوبة ، الثاني : حق أولياء المقتول ويسقط بتسليم نفسه لهم ، الثالث : حق المقتول وهذا لا يسقط لأن المقتول قد قتل وذهب ، ولكن قد يؤخذ من حسنات القاتل أو أن الله تعالى بفضله يتحمل عنه " أ هـ "[165]

مات الرجل في منتصف الطريق فاتبعت الملائكة حيلة آدمية غريبة هي قياس المسافة بين الأرضين ، فوجدا شبرا زائدا يميل في قربه إلى أرض القوم الصالحين !! وعن هذا الشبر اختلفت الروايتان ، فرواية تقول أن الله تعالى مد الأرض شبرا ، ورواية تقول أن الرجل نأى بصدره لما أتاه ملك الموت!!
اذن أين عامل النية هنا ؟!، والنية دائما وأبدا في أي شرع وفي أي زمان هي أصل الأعمال والأعمال لا تكون إلا بها وأن محلها القلب ، بما يعني أن المعيار هو النية والنية فقط بغض النظر عن المكان الذي مات فيه أو الزمان" .

20:- المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْكُلُ أَكْلًا كَثِيرًا فَأَسْلَمَ، فَكَانَ يَأْكُلُ أَكْلًا قَلِيلًا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ" :إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ.[166] ."

سارع المكذبون للحديث النبوي دون رويَّة، أو بحث أو تأويل بإخلاصٍ وحسنِ ونيَّة، فأثاروا سؤالا يبث في قلوب المؤمنين الشكَّ والريب، ويطعن في هذا الحديث المتواتر بكل نقص وعيب، فقالوا :هل تركيب خلق المؤمن يخالف تركيب خلقة الكافر؟ المشاهد أنهما سواء.

والعجب من هؤلاء المكذبين؛ لو جاءهم مثلاً خبر عابر، أن علماء التشريح اكتشفوا أشياء زائدة في جسم الإنسان، تنفع وقت الحاجة إليها، كعروق في الساقين زائدة، قد تحلُّ محلَّ عروق معينة في القلب البشري، لبادروا بالتصفيق والتصديق دون مناقشة أو تحقيق، لماذا؟
لأن هناك ثقة بأولئك العلماء، ومن ثقتهم بهم نسوا أو تناسوا، أو غفلوا عن شيء مهم، وهو :من أخبرهم هل هو صادق أو كاذب؟ جادٌّ أو متلاعب؟

---

[165] الشرح الممتع" (14/ 7)
[166] صحيح البخاري (5397)

أما عندما يسمع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديثًا صحيحًا متواترًا، يخالف هواه المبتلى، وعقلَه المريض، ينفجرُ بتكذيب الرواة، وينشئ لهم محكمةً وقضية، وفي التوّ يصدر حكمه، دون تحقيق أو رويّة، بأن هذا الحديث أو ذاك، من الأحاديث الموضوعة أو الإسرائيلية.

أقول: هذا الحديث ليس من الأحاديث الموضوعة أو الإسرائيلية، أو حتى الضعيفة الواهية، بل هو حديث صحيح متواتر، ذكرهُ السيوطي في كتابه: الأزهار المتناثرة (ص: 13)؛ فقد رواه جمع من الصحابة رضي الله عنهم منهم:

-1عبد الله بن عمر: روى البخاري بسنده عن نافع قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَدْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَكَلَ كَثِيرًا، فَقَالَ : يَا نَافِعُ! لَا تُدْخِلْ هَذَا عَلَيَّ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ" :الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ[167] "

وفي رواية أخرى" :إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَإِنَّ الْكَافِرَ "أَوْ" الْمُنَافِقَ "فَلَا أَدْرِي أَيَّهُمَا قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ" يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ[168] "

-2عبد الله بن عمرو قَالَ: كَانَ أَبُو نَهِيكٍ رَجُلًا أَكُولًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ" :إِنَّ الْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ ."فَقَالَ: فَأَنَا أُومِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. [169]

-3أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم" :- يأكل المسلم في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء [170] ."

وفي رواية للبخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْكُلُ أَكْلًا كَثِيرًا، فَأَسْلَمَ فَكَانَ يَأْكُلُ أَكْلًا قَلِيلًا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ" إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ[171] ."

وفي رواية للإمام أحمد" :الكافر يأكل في سبعة أمعاء، والمؤمن يأكل في معى واحد[172]

وفي رواية" :إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء، وإن المسلم يأكل في معي واحد ."احمد (2/ 252.(

-4أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم" :- المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء ."ابن ماجة (2/ 1085.(

---

[167]البخاري (5393) فتح الباري (9/ 536)، والدارمي (2/ 25)
[168]البخاري (5394) مع فتح الباري (9/ 536)
[169]البخاري (5395) فتح الباري (9/ 536)، وأحمد (2/ 43، 74.(
[170]البخاري مع فتح الباري (9/ 536)، وأحمد (2/ 57) بلفظ: "المسلم يأكل في ..."، ومالك في صفة النبي (2/ 221.(
[171]البخاري (5397) فتح الباري (9/ 536)، وابن ماجة (2/ 1084)، وأحمد (2/ 415، 435.(
(2/ 318) ."[172]، (397 /6)بلفظ: "إن الكافر."

-5جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال" :المؤمن[173] ." وذكر النص السابق.

-6نَضْلة بن عَمْرو الغفاري قال: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -! إن كنت لأشرب السبعة فما أمتلئ، قال: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم" :- إن المؤمن يشرب في معي واحد، وإن الكافر يشرب في سبعة أمعاء ."[174].

-7سعيد بن يسار عن رجل من جهينة قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول" :إن الكافر يشرب في سبعة أمعاء، وإن المؤمن يشرب في معي واحد[175] ."

سبعة أمعاء :معلوم أن الأكلةَ المأكولة، أو الشربةَ المشروبة، لابد وأن تمرَّ في الجهاز الهضمي، الذي يبدأ بالفم وما فيه من أسنان، لطحن الطعام ولسان وغدد لعابية، ثم بلعوم ومريءٌ، وهذه لا يستقر فيها الطعام طويلا، ثم معدة، ثم الاثنا عشر، ثم الأمعاء الدقيقة، ثم الغليظة، ثم المستقيم، وهذه يستقر فيها الطعام مدة من الزمن، حتى يتم بعد الهضم الامتصاص، والتخلص من الفضلات. فهذه سبعة إذا استثنينا الفم.

نقل الكرماني عن الأطباء في تسمية الأمعاء السبعة أنها :المعدة، ثم ثلاثة متصلة بها دقاقٌ، وهي: الاثنا عشري، والصائم، والقولون، ثم ثلاثة غلاظ، وهي: الفانفي] بنون وفائين أو قافين[، والمستقيم، والأعور.

إن علماء الإسلام وشراح الحديث والمحدثين، لم يشكوا في حديث" :المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء"، وهم أعلم أهل الأرض بتخريج الأحاديث ودراسة الأسانيد، وهم وحدهم القادرون على الحكم على أي حديث بالصحة والضعف، لا المستغربين والجهال في هذا المجال، فأهل الفقه والحديث الذين يفقهون معاني الحديث، وما يستنبطونه من فوائد، لذلك يترك لهم ما استنبطوه، وما فهموه وفقهوه من هذا الحديث، وهذه بعض أقوالهم:

قال أبو عمر بن عبد البر:
أما حديث أبي هريرة هذا وأمثاله، فليس فيه إلا مدح المؤمن بقلّة رغبته في الدنيا، وزهده فيها، بأخذ القليل منها في قوته، وأكله ولُبسه وكسبه، وأنه (يأكل ليحيا، لا ليسمن)، كما جاء عن الحكماء، ففي الحديث" :ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًا من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه[176] ."

---

[173] سنن الدارمي (2/ 25)،
[174] أحمد (4/ 336(
[175] حمد (6/ 335.(
[176] احمد (4/ 321.(

-5جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال" :المؤمن[173] ." وذكر النص السابق.

-6نَضْلة بن عَمْرو الغفاري قال: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -! إن كنت لأشرب السبعة فما أمتلئ، قال: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم" :- إن المؤمن يشرب في معي واحد، وإن الكافر يشرب في سبعة أمعاء ."[174].

-7سعيد بن يسار عن رجل من جهينة قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول" :إن الكافر يشرب في سبعة أمعاء، وإن المؤمن يشرب في معي واحد[175] ."

سبعة أمعاء :معلوم أن الأكلةَ المأكولة، أو الشربةَ المشروبة، لابد وأن تمرَّ في الجهاز الهضمي، الذي يبدأ بالفم وما فيه من أسنان، لطحن الطعام ولسان وغدد لعابية، ثم بلعوم ومريءٌ، وهذه لا يستقر فيها الطعام طويلا، ثم معدة، ثم الاثنا عشر، ثم الأمعاء الدقيقة، ثم الغليظة، ثم المستقيم، وهذه يستقر فيها الطعام مدة من الزمن، حتى يتم بعد الهضم الامتصاص، والتخلص من الفضلات. فهذه سبعة إذا استثنينا الفم.

نقل الكرماني عن الأطباء في تسمية الأمعاء السبعة أنها :المعدة، ثم ثلاثة متصلة بها دقاقٌ، وهي: الاثنا عشري، والصائم، والقولون، ثم ثلاثة غلاظ، وهي: الفانفي] بنون وفائين أو قافين[، والمستقيم، والأعور.

إن علماء الإسلام وشراح الحديث والمحدثين، لم يشكوا في حديث" :المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء"، وهم أعلم أهل الأرض بتخريج الأحاديث ودراسة الأسانيد، وهم وحدهم القادرون على الحكم على أي حديث بالصحة والضعف، لا المستغربين والجهال في هذا المجال، فأهل الفقه والحديث الذين يفقهون معاني الحديث، وما يستنبطونه من فوائد، لذلك يترك لهم ما استنبطوه، وما فهموه وفقهوه من هذا الحديث، وهذه بعض أقوالهم:

قال أبو عمر بن عبد البر:
أما حديث أبي هريرة هذا وأمثاله، فليس فيه إلا مدح المؤمن بقلّة رغبته في الدنيا، وزهده فيها، بأخذ القليل منها في قوته، وأكله ولُبسه وكسبه، وأنه (يأكل ليحيا، لا ليسمن)، كما جاء عن الحكماء، ففي الحديث" :ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًا من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه[176] ."

---

[173] سنن الدارمي (2/ 25)،
[174] أحمد (4/ 336(
[175]حمد (6/ 335.(
[176]أحمد (4/ 321.(

وأما من عَظُمَت الدنيا في عينه من كافر وسفيه، فإنما همته في شبع بطنه، ولذة فرجه.

وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن المؤمن حقَّ المؤمن شأنه، يأكل في معي واحد، وهذا مجاز دال على المدح في القليل من الأكل، والقناعة فيه، والاكتفاء به.

وقال النووي:

يحتمل أن يزيد بالسبعة في الكافر، صفات هي: الحرص، والشره، وطول الأمل، والطمع، وسوء الطبع، وحب السمن، وبالواحد في المؤمن سدّ خَلته.

وقال القرطبي:
شهوات الطعام سبعٌ؛ شهوة الطبع، وشهوة النفس، وشهوة العين، وشهوة الفم، وشهوة الأذن، وشهوة الأنف، وشهوة الجوع، وهي الضرورية التي يأكل بها المؤمن، وأما الكافر فيأكل بالجميع.
وبعد هذا الطواف في أقوال علماء الحديث والفقه نخلص إلى ما يلي:
-1الحث على التقلل من أمور الدنيا، وعدم الإسراف، قال الله تعالى :(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) [177]

-2الاقتصاد في المأكل، ففي الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال" :ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلاتٌ يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه ."أحمد والترمذي والبيهقي والحاكم عن المقدام بن معديكرب، [178]

3 -وقد حث الشرع الشاب الأعزب الذي لم يجد مؤونة الزواج على الصوم، فقد قال - صلى الله عليه وسلم" :- يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء ."أحمد والشيخان والأربعة عن ابن مسعود، انظر: [179]

4 -من أكبر الأخطاء؛ أن نبادر إلى تصديق خبر أو تكذيبه، دون تحقق أو تثبت.

5 -إذا ثبت الخبر عن ثقة؛ لابد من فهمه، بما لا يتناقض مع الأمور المسَلّمات، كما رأيت من علمائنا وشروحهم للحديث السابق.

كل ما ذكرته؛ وذكره أئمتنا وعلماؤنا، يرد التكذيبَ بأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وفيه المقنع والكفاية لمن أراد الإنصاف، لا لمجرد الهوى والاعتساف.

---

[177]الأعراف: 31
[178]انظر: صحيح الجامع الصغير، حديث: (5674)
[179]صحيح الجامع الصغير، حديث: (7975)

الخاتمة

الحمد لله على سابغ نعمه وعظيم إحسانه ومنه حيث لا نحصى ثناء عليه كما أثنى على نفسه فلك الحمد اللهم ربنا كما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا ، ولك الحمد ولك الشكر

وبحمد الله الباري أتممت هذا البحث الصغير _ قدر استطاعتي _ الذي يجد فيه القارئ الجواب المقنع لمن ينكر الأحاديث الصحيحة .والأجدر بالذكر هنا أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها خلال هذا البحث العلمي .

١. هناك أحاديث صحيحة أنكرها العلماء (نادرا)بالنظر إلى السند ولكن تجد تحت كل الأحاديث المنكرة من هذا الحيزالجواب الكافي
٢. بعض من العلماء قد أنكروا بعض الأحاديث الصحيحة مدعين أنها يعارض العقل والرد على شبهاتهم.
٣. يجد قارئ هذا البحث الصغير أن من يرد الأحاديث الصحيحة عمدا يحكم عليه بالكفر.

وفي خاتمة هذا البحث أذكر نفسي وغيري بقوله سبحانه وتعالى:فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (الكهف: ١١٠)

ألا فلنعمل الصالحات ونجتنب الفواحش والموبقات ليرضى عنا رب الأرض والسماوات.

فقد رأينا كيف تكون عاقبة البعد عن الله وارتياد الطرق المعوجة المشبوهة، والعتو عن أمر الله سبحانه، وسوء الخاتمة والعذاب الأليم لمن كان هذا شأنه.

وفي النهاية لا أملك إلا أن أقول أنني قد عرضت رأيي وأدليت بفكرتي في هذا الموضوع لعلي أكون قد وفقت في كتابه والتعبير عنه وأخيرا ما أنا إلا بشر قد أخطئ وأصيب فإن كنت قد أخطأت فأرجو مسامحتي ، وإن كنت قدأصبت فهذا ما أرجوه من الله عز وجل.

بقلم الفقير إلى عفو ربه

أبي شذى شفني بن محي الدين

الانتهاء

الموافق:٢٤\٠١\٢٠١٥

فـــــــهـــــــــرس	الصـفحـة
المقدمة	
السنة النبوية في التشريع	01
تعريف السنة	01
تدوين السّنة فِي عهد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم	02
تدوين السّنة بعد جيل الصَّحَابَة	02
جهود الصحابة والتابعين في حفظ السنة	03
ضوابط صحةالحديث	08
هل يقبل الجرح والتعديل من غير بيان سببه؟	09
مظاهر احتياط الصحابة في قبول الحديث الشريف	09
احتجاج المنكرين للحديث الصحيح والجواب عنه	11
عدم معارضة السنة للقرآن وتبيينها له	11
النقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح	13
الأحاديث الصحيحة المزعومة بالمردودة	15
الحديث الأول	15
الحديث الثاني	16
الحديث الثالث	18
الحديث الرابع	19
الحديث الخامس	22
الحديث السادس	23
الحديث السابع	25
الحديث الثامن	32
الحديث التاسع	34
الحديث العاشر	36
الحديث الحادي عشر	39
الحديث الثاني عشر	41
الحديث الثالث عشر	43
الحديث الرابع عشر	45
الحديث الخامس عشر	46
الحديث السادس عشر	48

الحديث السابع عشر	49
الحديث الثامن عشر	50
الحديث التاسع عشر	53
الحديث العشرين	55